رواية

نذرت قلبي لك

توحيد هارون نويه

المقدمة

الخيال هو الأكثر إدراكا ..

يفهم مبدأ القلب والعقل معا .. خيط رفيع يفصل بينهما

قد لايمكنك فهمي ..

قد تُخطئ وقد أخطئ ..

وقد يجمعنا هذا الخطأ ونتفق ..

أحدهم أخبرني ذات يوم .. أن بوسع أثنين أن يتفقا على الإختلاف ..

إستوقفتني فلسفته بُرهة من الوقت لسبر أغوارها ..

كيف لشخصين من المفترض أنهما مُغرمان أو صديقان أن يتفقا على الإختلاف ؟

في المبادئ .. في الأفكار والميول ..

في فلسفة الحياة ..

في الحب ..

لايوجد شئ قد يتفقان عليه سوى رغبتهما في البقاء معا كيف يمكنهما مواجهة الحياة بكل تلك الإختلافات ؟

فلسفة غريبة لم أفهمها بعد ..؟

عندما تكتب من قلبك لن تحتاج الى وسيلة لتعبُر كلماتك الى قلوب الأخرين .. ستحتاج فقط الى جزء صغير من الوقت يتكرمون به لقراءتها ..

وسط طرقات شائكة وأحلاما مغرية .. إلتقوا على ذلك الطريق الطويل .

إقتحموا عالم الخوف والجرأة , تعاهدوا ..أحبوا .. كذبوا .. خانوا .. أخلصوا ..

بين اليأس والأمل .. الصمود والصراع .. تفرقت الأيادي والقلوب .. وتناثرت الثقة خلف السراب .

هكذا هي دوما محطات الحياة .. نلتقى لنفترق ..

توحيد نويه

قدر أم مجرد صدفة ؟

في ذلك العمر الطويل ..

تمر علينا الكثير من اللحظات والمواقف ..

بعضها يُضحكنا بعلو الصوت ويُدخل السرور الى قلوبنا والبعض الآخر يجعلنا نبكي رغما عنا ونتصفح دفاتر الذكريات ..

ذاكرة ملأناها بمشاعر مختلطة .. فيها لحظات إحتياج ربما لشخص ما .. لشئ ما ..

لحظات سعادة وتحليق في علو السماء ..

لحظات دموع وآنات حارقة وآلام قاسية ..

لحظات مررنا بها جميعا ..

محطات توقفنا لنقرأ ماكُتب على لافتاتها وذهب البعض منا .. وتخطاها بقوة وشجاعة وإيمان ..

بينما سقط البعض الآخر مُنهارا عاجزا عن مواصلة المشوار ..

خلف كل شخص ما .. حكاية .. تحمل أجزاء من كل محطة .. سواء كانت فرح أم حزن .. جرح أم ثقة , فقدان أو إحتواء ..

كل تلك الملامح التي نراها .. هي أقنعة في الواقع تُخفي خلفها الكثير من الأحلام والمحطات ..

تُخفي خلفها جوانب مختلفة ووجوه لشخصيات عدة خلف كل وجه .. حكاية ما .. سر ما ..

لذلك ليس من حقنا الحكم على أي أحد ..

لأننا لانعلم مايُخبئه بداخله ..

لانعلم كم من المحطات عبر وكم منها هشمت بداخله اليقين والإيمان ..

لكل فرد أسرار وخبايا وأعذار بملء تراب الأرض .. لكل شخص دفتر ذكريات ولحظات ومحطات يحتفظ به بعيدا جدا عن كل العيون ليعود إليه في محطة ما من محطات عمره ..

لم يدق قلبها لأحد مثلما فعل ذلك اليوم في أول محاضرة للرسم الهندسي عند بداية السنة الدراسية الثانية .

أستاذ الرسم هذا العام مختلفا عن الأستاذ الذي قام بتدريسهم العام الماضي وأصغر سنا منه.

شاع جو من الإنشراح والطلاب يستقبلونه بسعادة , وقالت زميلتها التي تقف على (بورد الرسم) بيسارها :

_ ياله من عام دراسي سعيد .. إنه الأستاذ الأروع والأوسم في كل الجامعة .

أعادت النظر إلى الأستاذ لتتأكد من صحة إحساس زميلتها المتفائلة وتسللت الإبتسامة الى شفتيها عندما إلتقت نظراتهما .. إنه كما وصفته زميلتها تماما وسيم يمتلك إبتسامة قاتلة , تجاهلت الزيادة الملحوظة في النبضات بقلبها .. ساورها إحساس لذيذ عند إلتقاء نظراتهما شعرت معه بتلك القطعة الصغيرة يسار صدرها تتسلل صوب ذلك الواقف أمامهم ليلقى عليهم الدرس مستعملا يديه في الشرح وكلماته المختلفة لإيصال المعنى إليهم .

لم يرفع عينيه عنها أثناء شرحه للمحاضرة وما تلبث نظراته أن تعود إليها وكأن مغنطيسا يجذبه الى تلك العينان .

إنتهى الشرح وبدأ الطلاب في عملية الرسم وأعينهم منحنية على الأوراق البيضاء التي تتجول فيها أقلام الرصاص بمختلف الأنواع بفن وإبداع وخفة .

جلس الأستاذ واضعا ساقا فوق الأخرى وقد لاح شبح إبتسامة على شفتيه عندما تذكر أين رآها .

قبل سبعة أعوام إن لم تخنه الذاكرة وعندما كان ب(دكان) والده أتت طفلة جميلة تسترسل ضفائرها على كتفيها بإنتظام لشراء (علبة ألوان) .

في ذلك الوقت كان هو طالبا بسنته الجامعية الأولى وشغوفا بالرسم , فسألها بغير إهتمام سؤال قفز الى شفتيه لا إراديا :

_ هل ترسمين ؟

_ أنا مهندسة .

صعقه الرد الذي لم يكن يتوقعه من طفلة في مثل عمرها , خرجت الضحكة من فمه بعفوية وهو يناولها علبة الألوان قائلا :

_ مهندسة؟ ماشاء الله ..أين؟

زمت شفتيها مفكرة وهي تقول بجدية :

_ لاتضحك علي .. عندما أكبر سأصبح مهندسة مثل أبي لذلك يجب أن أتقن الرسم من الأن وأتمرن على كل أنواعه وبذلك أتهيأ لدراسة الهندسة وتصل طموحاتي الى القمر أريد الوصول الى مستوى الأساطير .

_ الشعارات وحدها لاتصنع نجاحا , لكن شخصا يحمل كل هذه الإرادة لابد أن يُصبح أسطورة زمانه .

أجابت بعناد طفولي وهي تمسك ألوانها بقوة :

_ لايكفيني أن أكون أسطورة زماني أرغب في أن أكون أسطورة كل الأزمنة .

في ذلك اليوم رأى بعينيها طموحا لاحدود له وتصميم غريب جعله يُهديها أقلام التلوين بلا مقابل متمنيا لها تحقيق ماتحلم به والذي تتسلح وتعد له العدة من الأن ولم تنسى هي أن تشكره وتخبره إنها غريبة عن الحي لكنها ستعود لشراء ألوانها من دكانه في يوم آخر.

شاء القدر أن يجمعه بها بعد سبعة سنوات .. ليُدرسها في قاعة الرسم الهندسي .

تأملها بإعجاب وقد لمعت عيناه فخرا بها دون حتى أن يعرف ما أسمها ولا هويتها .

كان فخورا لأنها لم تفشل ولأن كلماتها لم تكن مجرد كلمات عادية من طفلة أحبت شيئا لفترة ما وتأثرت به لأن شخصا عزيزا على قلبها يحبه ثم إستغنت عنه مع الأيام ونسيته , فخورا لأنها دافعت عن حلمها الطفولي وتمسكت به ليكبر معها العام تلو الآخر وها هي اليوم طالبة بأفضل كليات الهندسة في البلاد وتمتلك قدرة خارقة على

الرسم وتخيل المباني كما يبدو على أوراق رسمها , ربما تمرنها في الأعوام الماضية على الرسم سهل عليها مهمتها وأكسبها خبرة لاحدود لها وموهبة خارقة في الرسم.

لقد كبرت عن آخر مرة تقابلا فيها بال(دكان) وهي المرة الأولى .. لكن لسبب ما ظلت كلمات تلك الطفلة عالقة بذهنه ومنحته دافعا أقوى للأمام.

اليوم يمكنه رؤية السعادة مرسومة بوضوح بأبهى الألوان خلف عينيها الساحرتين .

لم تمح السنوات السبع البراءة والسماحة التي نُقشت على ملامح وجهها , مازالت تزم شفتيها وهي تفكر منكفئة على(لوحة الرسم) , باتت اليوم أكثر نضوجا وأنوثة وإغراء ..

وتحرك قلبه وهو يتعمق في ملامحها وصدى صوتها الطفولي يتردد في أذنيه .

رغم نظراته صوبها من أول خطوة له بقاعة الرسم وحتى هذه اللحظة توصل الى نتيجة حتمية وهي أنها لم تتعرف عليه ..

وإبتسم بسخرية محدثا نفسه :

_ يالسذاجتي .. كيف ستتعرف علي ولم نلتقي إلا مرة واحدة .. كيف ستتوقع أن (صاحب الدكان) الذي إشترت منه (علبة ألوان) وأخبرته عن حلم حياتها أن يكون هو نفسه أستاذها لهذه السنة.

كلما رفعت رأسها عن ورقة الرسم إصطدمت عينيها به من قبل كانت أول من يرسم الدرس ويسلمه لكنها اليوم تعجز عن فعل ذلك , إضطراب قلبها وتعرق يديها وحصار نظراته كل تلك الأشياء لم تسهل عليها مهمتها وعندما أعلن الوقت عن إنتهاء المحاضرة جمعت المسطرة حرف(T) والمثلثات والأقلام والبرجل وأعادتهم الى أماكنهم وحررت ورقة الرسم من اللوحة وتوجهت صوبه بخُطى مهتزة وأنامل مرتجفة لتُسلمه ورقتها مع الطلاب الآخرين الذين يتدافعون للتسليم قبل مغادرة الأستاذ , ثم حملت حقيبتها وخرجت مع صديقتها المقربة(لينا) لتناول وجبة الإفطار بالكافتيريا .

بعد شراء السندوتشات والعصائر جلست الفتاتان في آخر طاولة فارغة بقلب الكافتيريا المزدحمة بالطلاب والطالبات , لاحظت (لينا) شرود صديقتها وهدوئها غير المألوف فتسائلت :

_ (ريم) ماذا بك ؟

تنهدت (ريم) وهي ترتشف جرعة من عصير البرتقال أمامها قبل أن تقول :

_ لا أدري .

ثم أغلقت عينيها وهي تسند رأسها على ظهر الكرسي بضياع , إنتاب (لينا) القلق وهي تضع السنتدوتش من يدها وتنظر الى (ريم) متسائلة :

_ بماذا تشعرين ؟ هل يؤلمك رأسك ؟

فرت دمعة من عينيها وهي تنظر الى صديقتها قائلة :

_ (لينا) كيف سأفسر حالتي لك إن كنت أنا نفسي لا أفهمها , هنا في قلبي .. شئ ما يتحرك .. كأنني حلمت به في حلم ما ؟! كأنني إلتقيت به في زمان ما ؟! ماذا يحدث لي ؟ بحق الله أخبريني ماذا يحدث لي ؟

_ إهدئي .. (ريم) سيكون كل شئ بخير .

ثم تسائلت في حيرة :

_ لكن من تعنين في حديثك ؟

أشارت (ريم) الى قاعة الرسم وهي تمسح عينيها بيدها.

_ أستاذ الرسم , إنها المرة الأولى في حياتي التي أعجز فيها عن الرسم لماذا يا(لينا) ؟ لماذا؟ لمجرد أنه كان ينظر إلي لم أستطيع إكمال رسوماتي ! لم يحدث لي هذا من قبل , من يكون هو ليُصيبني بكل هذه البعثرة والإرتباك ؟ من هو ليجعلني عاجزة عن التركيز في درسي ؟

_ ألهذا السبب تشعرين بالضيق ؟

_ أجل

_ حب من النظرة الأولى ..

_ مستحيل ..

_ يمكنني المراهنة على ذلك ؟

_ ستخسرين ..

_ لن أخسر لسبب واحد وهو أن (ريم) التي أعرفها حطمت مئات القلوب ولم يرف لها جفن في حين إنه إستطاع بعثرتك من أول لقاء ؟

_ أنا أقوى من الحب والمشاعر لاوقت لدي لأضيعه في هذا الكلام الفارغ ..

_ ماذا تسمين ما مررت به اليوم إذا ؟

_ عثرة في طريق أحلامي يجب تخطيها ..

_ الحب لايأتي سوى مرة واحدة , قد تقابلين الكثير من الفرسان لكن يبقى فارس قصة حبك واحد لامثيل له ..

_ الوقت غير مناسب للحب مازلت أخطو أول خطوات حلمي ولن أتنازل عنه حتى لو أحببت قيس المجنون لا هذا الأستاذ ..

_ الوقت سيثبت لنا ذلك ياعزيزتي , أمامنا الكثير من محاضرات الرسم وأجزم إنك لن تنجحين في إكمال درس واحد ما دمت بهذه الحالة .

_ بل أنا من سيثبت لك أني سأعاقبه على فعلته شر عقاب حتى لايتجرأ للنظر الي مرة أخرى .

_ ماذا ستفعلين ؟

_ هل تراهنين ؟

_ على ماذا ؟

_ على إنتصاري وخسارته ..

_ قبل أن أراهن دعيني أخبرك أمرا , خسارته ستؤلمك طويلا لأن الرجل الذي جعلك تخططين لإزاحته من طريقك لأنه فقط نظر إليك ولم تتمكني من الرسم بإتقان كعادتك إقتحم قلبك عنوة.

_ لنرى يا(لينا) راقبي ما سأفعله به وأشفقي عليه ..

كانت (لينا) تدرك جيدا أن (ريم) وضعت لنفسها حلما ستحققه حتى لو إضطرت لمحاربة الدنيا بأسرها لا محاربة قلبها فقط ولن يتمكن أحد من إيقافها حتى هي .

لم تكن (ريم) أيضا بعيدة عن أفكار أستاذ الرسم الذي عجز بدوره عن إكمال أحد المشاريع الهندسية التي أوكلت إليه من قبل مدير شركة (النجمة الهندسية) الذي يثق به ثقة عمياء .. منعته عينيها عن العمل وقد وجد قلبه هائما معها الى أبعد مما تصور ..

ظل طوال الليل ينظر الى المجسمات والأوراق البيضاء على طاولة غرفته بذهول ويتسائل كالمجنون عما أصابه .. أي عينان تلك التي أحتلت دواخله بهذا العمق وإستعمرته؟ .. أي سر تملكان لينجذب إليهما في كل دقيقة مرت من محاضرته ؟

وجد يده ترسمها على أوراقه البيضاء .. وجهها وعينيها اللتان سلبتا عقله .. طفولتها ونضجها .. نام الجميع تلك الليلة وبقى مستيقظا يتأمل بذهول مارسمته أنامله .. يتأمل فتاة أحلامه وهي تكاد تقفز من الأوراق لتعانقه بشوق وعتاب ..

هزيمة أم إنتصار ؟

في صباح اليوم التالي تقدمت (ريم) بخُطى ثابتة قبل بدء المحاضرات الى مكتب أستاذ الرسم الجديد بالطابق الثاني المخصص لأساتذة الرسم بالكلية بعد أن لمحته يدخل إليه , طرقت الباب وأنتظرت حتى آتاها الرد لتدخل , فتقدمت نحوه وهي ترسم على شفتيها إبتسامة مغرية وتقول برقة ودلال :

_ صباح الخير أستاذ .

_ صباح الخير .

إنها هي ؟ وكأنها قد قرأت أفكاره فمنذ الأمس لم تبارح ملامحها مخيلته .

_ تفضلي بالجلوس ..

جلست على أحد المقاعد وواصل هو عملية تحضير الشاي بعد أن أضاف كوب آخر من أجلها .

_ طالبة المستوى الثاني إن لم أكن مخطئا ؟ ما أسمك؟

_ ريم .

_ ريم .. أين تعلمتي الرسم ؟

ختم سؤاله وهو يمد لها كوب الشاي الذي ترددت في آخذه ثم وافقت بعد إلحاحه عليها , فأخذته ووضعته على المنضدة الزجاجية بينما جلس هو على المقعد المقابل لها واضعا ساقا فوق الأخرى بغطرسة وغرور.

_ تعلمته بمفردي في المنزل ..

_ يبدو إنك تحبين الهندسة كثيرا ؟

_ أجل ..

_ إن كنت ترغبين في النجاح عليك الإجتهاد أكثر لأن رسوماتك لدرس الأمس كانت مُدعاة للسخرية من فرط هشاشتها ولا توحي بأن طالب في المستوى الثاني بأفضل كليات الهندسة قد رسمها.

شعرت بالإهانة في كلماته على الرغم من ترحيبه الظاهري وإبتسامته الصافية , بينما هو في قرارة نفسه لم يتعمد الإساءة إليها بل كان يحاول معرفة مدى تمسكها بحلمها الذي يعرفه جيدا .

_ سأعمل بنصائحك بلاشك , أتيت لأخبرك أنني كنت أشعر بالصداع في محاضرة الأمس لذلك سأعيد رسم الدرس اليوم وأحضره إليك .

_ سأقبله منك , لكن بشرط..

_ ماهو ؟

_ أن تُعيدي رسمه أمامي , وهنا .. في مكتبي ..

بدا لها شرطه غريبا بعض الشئ , لكنها ردت بثقة مماثلة وهي تنهض إستعدادا للمغادرة :

_ حسنا .. سأكون هنا بعد أنتهاء محاضراتي , أستأذنك الأن لدي محاضرة ..

_ حسنا ..

خرجت من مكتبه وهي تلعن غروره وغطرسته وطريقة حديثه وجلوسه المتكبرة ولأول مرة تمنت لو لكمته على وجهه قبل أن تغادر .

بعد خروجها تسائل إن كانت تمتلك بالفعل موهبة الرسم التي تدعيها وهل ستتمكن من رسم مايطلبه منها كما هو وبدقة في آخر اليوم الدراسي ؟

قالت (لينا) وهي تستقبلها في فناء الجامعة ليتوجها الى قاعة المحاضرات :

_ (ريم) ماذا ستكسبين من وراء كل هذا ؟

_ سأثبت إنه يمكنني الرسم أمامه وأن لاتأثير له علي ألبته .

_ ماذا لو لم تستطيعي فعل ذلك ؟

_ يجب أن أتخلص من تأثيره السلبي علي يا(لينا) لأنه سيكون معي طوال هذا العام والرسم أهم مادة إن رسبت فيها فسينتهي حلمي شر نهاية .

_ لن ترسبي , أنتي الأولى في السنة الماضية وأحرزت أعلى الدرجات في الرسم ..

_ إن لم أواجهه الأن لن أتفوق هذه السنة أبدا ..

_ أنتي مجنونة .

_ أعلم ذلك .

قالتها (ريم) وهما يدلفان الى قاعة المحاضرات .

مر اليوم سريعا وإنتهت جميع المحاضرات , غادر معظم طلاب المستوى الثاني من ضمنهم صديقتها (لينا) لتلحق بأحد المسلسلات التركية والذي تحرص على مشاهدة حلقاته متمنية التوفيق لصديقتها .

أشارت عقارب الساعة الى الرابعة عصرا عندما كانت (ريم) تطرق باب مكتب أستاذ الرسم بتصميم متجاهلة تسارع دقات قلبها ..

فُتح الباب ولاح الأستاذ من خلفه مبتسما وهو يدعوها للدخول ثم يغلق الباب من الداخل خلفها ..

لاحظت إنشغاله في مشروع يبدو مهم وكبير من أوراق الرسم المكومة على طاولة المكتب الرئيسية .

_ يمكنك إستخدام تلك المنضدة للرسم ..

وضعت حقيبتها على احد المقاعد الجلدية المتواجدة , ألقت نظرة عابرة على المكتب الذي لم يسعفها الوقت صباح هذا اليوم لتفحصه , مكتبه أنيق وفخم يعكس شخصية خطيرة عكس مايبدو عليها صاحبه المتغطرس فهو يحتوي على أغلى أنواع الأثاث المكتبي المُصمم بطريقة هندسية فريدة وكأنه صُنع خصيصا لشخص بعينة , مقعده الخاص ذو اللون البني الممتزج بالأخضر مصمم على هيئة نسر حاد النظرات مُرعب وطاولته بالونين نفسهما تحمل تصماميم متداخلة لاتُفهم بسهولة , بقية المقاعد قد تبدو مريحة وبسيطة مقارنة بمقعده وهي تسكن بهدوء في ساحة المكتب الواسعة متوزعة عليها بدقة وإنتظام شديدين لتعلن تناقضها الظاهر عن بقية المقاعد في المكاتب الأخرى التي توضع بلامبالاة واضحة غير مراعية لحقوق الذوق والأناقة بينما تقبع في منتصفها منضدة زجاجية فاخرة تغوص بإرتياح داخل السجادة الصوفية ذات اللون البني الغامق , إضافة للثلاجة الصغيرة خلف الباب مباشرة .

_ أستاذ .. هل تقصد هذه الطاولة الزجاجية ؟

أجاب وهو يواصل عمله على أوراق الرسم :

_ أجل .

ثم أضاف وهو يزيح بعضا من الأوراق البيضاء الكبيرة من طرف طاولته ليترك لها النصف الآخر فارغا .

_ يمكنك مشاركتي هذه الطاولة إن أردت ..

قال إقتراحه وعاد لإكمال مشروعه , بينما وقفت هي في منتصف المكتب مترددة مندهشة من هذا الشخص الحافي القدمين أمامها , بكل بساطة أغلق عليهما باب المكتب من الداخل وأفرغ لها نصف طاولته لترسم عليها معه .. أهو مجنون ؟ , أدركت إنها لم تأتي لتحليل شخصيته وعليها أن تنجز مهمتها وتذهب .

مضت ساعة لم يتحدث فيها أحدهما الى الآخر , هو يعمل على مشروعه وهي ترسم الدرس في ذلك الوقت المحدد الذي منحه لها وهو ساعة ونصف رغم علمه أن هذه الرسومات تستغرق ثلاث ساعات حتى تكتمل بالشكل المطلوب .

شعر بالضباب يغشى عينيه فتوقف ليرتاح برهة من ثم يعاود العمل , إلتفت ليرى كيف تسير أوضاعها في المهلة القليلة التي منحها إياها , وفغر فاه دهشة وعينيه تتابع تحركات يديها على الورق .

إنغمست في الرسم بشدة ولم تنتبه لمراقبته لها .. شدته سرعتها وخفتها , ووجد نفسه عاجزا عن إكمال مشروعه .. أناملها ذات الطلاء الوردي تبدع في الرسم بإسلوب يأخذ الألباب .. إسلوب فنان بارع .. ياللروعة قالها وهو يتذكر الحوار الذي دار بينهما منذ سنوات في (الدكان) لم يرى في حياته أحدا يرسم بكل هذه العبقرية والتميز إلا أثنين فقط في هذا المجال أحدهما أستاذه (عوض حسنين) والآخر .. هو.

وضع قلمه فوق أوراقه المليئة بالتصاميم المختلفة وجلس على حافة الطاولة يتأملها .. وجهها مضئ كالقمر .. عينيها ساحرتين جميلتين يمنحان الناظر إليهما إحساس بالإلفة والأمان وكأن لاغربة فيهما ولامثيل لعمقهما في الكون كله , أي جمال هذا وأي نهاية لتلك العينان الحالمتان وكأنهما وطن يفرد ذراعيه ويناديه من مدن السراب .. أهي ملاك أم بشر؟ هبت نسمة باردة من الهواء إنزلق معها الخمار عن شعرها الأسود الحريري , بدت وكأنها في عالم آخر غير هذا العالم , بدت وكأنها تشبههما كثيرا .. شخصان فقط من يعيشان مع الرسم بكل هذا العمق حتى لايشعران بما يدور حولهما .. هو وأستاذه المهندس (عوض حسنين) لأنهما يجدان في الرسم لذة وسكينة بلا إنتهاء لم يُصادف مهندسا غيرهما في هذا المجال يرسم بتلك الإسطورية الفاتنة

إلا هذه الطالبة أمام ناظريه , وقف بهدوء حتى لايُزعج هيامها , تقدم نحوها وأمسك خمارها ليعيد تغطية شعرها الذي تكشف جراء نسمة الهواء التي داعبتهما منذ قليل .. إلتقت عيناهما .. توقف الوقت وتجمدت يديه ممسكة بالخمار .. شعرت بالخوف والذهول وتزاحمت الأفكار في رأسها .. ثم دفعته بعيدا عنها وهرولت نحو الباب لتفتحه وتغادر .

نهاية الرهان

لم تدري كيف وصلت الى المنزل حيث لم تكن تملك سوى حفنة جنيهات دفعتها ثمنا لتذكرة المواصلات بعد أن تركت حقيبتها خلفها بكل مافيها .

في المنزل تساءلت والدتها وهي تفتح لها الباب وقد غطت الدهشة وجهها لأن إبنتها لم تفتح الباب بمفتاحها الخاص , إستفسرتها كمحقق متمرس عن حقيبتها وأدوات الرسم وهما يتوجهان للداخل ولم تجد (ريم) مفر من الكذب عليها لأنه من الصعب عليها إخبارها الحقيقة , أقنعتها ببساطة أنها تركت أشيائها مع (لينا) لأنهما كانتا معا وإفترقتا في طريق العودة ونسيت ممتلكاتها معها دون أن تنتبه لذلك لأن رأسها كان يؤلمها بشدة , إنتاب القلق والدتها وهي تقودها الى غرفتها لترتاح .

جلست على سريرها مرعوبة .. ماذا حدث ؟ من أي شئ كانت تهرب ؟ لماذا هي خائفة ومذهولة ؟ هي تعلم إنه ليس بذلك السوء والجميع في الجامعة يحترمونه حتى والدها لايكف عن الحديث عنه .. لكن ماذا حدث؟ هل الجميع مخطئون في حكمهم عليه ؟ كان يتأملها بدقة لقد ترك عمله وجلس ينظر إليها , لم يتبقى لها سوى القليل لتكمل الرسم .. تجاهلته وتجاهلت تسارع نبضاتها ,عند سقوط خمارها كانت قد إنتهت من واجبها ولم يتبقى لها سوى تسليمه الورقة لكنها وجدته أمامها يحاول إعادة الخمار الى رأسها , نظرت الى السقف بخوف ودمعة تفر من عينيها وهي تردد .. لن أنجح .. لن أنجح لن أنجح .

جلس الأستاذ على مقعده ينظر بضياع الى الباب الذي خرجت منه (ريم) لتتركه مفتوحا على مصراعيه ..

لم يكن بحال أفضل منها , لم يدري أي سحر تملكه هذه الفتاة دون سواها ليفعل به كل هذا ؟ لابد من أنها قد أخطأت فهمه الأن , لكن من حقها أن تظن به ماتشاء فما فعله جُرم لايغتفر في حق مهنته وفي حق نفسه وحقها , قطع عليه حبل أفكاره رنين الهاتف .. كان المتصل أستاذه المهندس الكبير(عوض حسنين) حيث طلب منه الإنضمام الى شركته الهندسية لأنه يحتاج إليه ضمن فريقه .. ورد عليه بالقبول , أنهى المكالمة وإستعد لمغادرة الجامعة التي قضى بها أجمل سنوات عمره معلنا تركه للتدريس فيها ولم ينسى إخطار موظفة النظافة عن أشياء (ريم) التي تركتها بمكتبه ..

منذ ذلك اليوم غادر الأستاذ الجامعة وأخذت (ريم) حقيبتها وأدواتها وهي تمسح ذلك اليوم من حياتها للأبد بعد رحيله لتواصل مشوار حلمها الذي أقسمت أن تحققه وهي تعلن لصديقتها فوزها في الرهان وإزاحتها لتلك العقبة التي إعترضت مسيرتها.

تعثرا بالحب

" يحدث، أحيانا أن يأخذنا التفكير بمن نحب الى مدن المستحيل لنتسكع معه على ضفافها ..

يصدف أن يسرقنا من دهاليز أنفسنا وواقعنا الى متاهات من المشاعر والأمنيات ..

نجلس بين الناس لكننا نكون معه على أرض أخرى ..

لا نسمعهم ونسمع صوت همسه ونبتسم ..

وحده الحب من يفعل بنا ذلك ..

الجميع أطيافا وأشباح متحركة أمام الحضور الطاغي لمن نحب ..

ليس لهم ذلك التأثير الذي يحدثه صوته ووجوده بنا ..

ليست لهم القدرة على إشعارنا بضعفنا مثلما يفعل ..

ليس لأحد المقدرة على منحنا إحساس السعادة الذي نشعر به بالقرب منه ..

أنه عالم آخر , وطن آخر ,إحساس آخر..

هل تعلم كم هو مهم وجود شخص تحبه في حياتك؟

إنه أهم من الحياة بحد ذاتها ..

أنه الوجود لقلبك , دونه أنت في عداد الأموات ؟!

لم يتمكن من نسيانها وهو يغرق في عمله بشدة ليبتعد عن التفكير فيها .. ودخل بكامل رغبته في علاقة حب تنسيه إياها ..

وإنغمست هي في حلمها وعينيها تبحث عنه في زحمة الجامعة تتمنى لو تراه ..

كتم كل منهما مشاعره بقلبه وأغلق عليها بإحكام حتى لا تلوح على الملأ وتفضح مايعتمل بالصدور وكأنهما لن يلتقيا في هذه الحياة مرة ثانية ..

لعبة القدر

بدأت الحكاية من اليوم الذي قدمت فيه إبنة مديرهم الحسناء ذات الجمال النادر والروح المرحة لقضاء فترة تدريبية في الشركة الهندسية التي تضم جمعا من المهندسين من مختلف التخصصات أغلبها الهندسة المعمارية تخصص والدها والفريق الذي يعمل تحت إشرافه المباشر والمكون من ستة أشخاص إنتقاهم بمهارة ,(جواد) (حيدر) (وليد) (عامر) (ولاء) و(سوسن), وهم من خيرة مهندسي العمارة تتفاوت خبراتهم وإبداعاتهم التصميمية من مهندس لآخر, أكثرهم تفوقا وكفاءة في هذا المجال (جواد) الذي ذاع صيته وكثرت الأقوال عن ذكاءه وتميزه , ثم إنضمت (ريم) كمتدربة الى ذلك الفريق المبدع والمشهور هندسيا.

الفترة المحددة لتدريبها لم تكن تتجاوز الثلاثة أشهر لتحصل بعدها على شهادة تدريبية قبل إستمرارها بالجامعة لإكمال السنة الأخيرة .

لم تجد مكانا أفضل من ذلك الذي ساهم والدها في بناءه من الصفر والذي حلمت طوال سنوات عمرها أن تجد لها مقاما فيه .

تجولت عينيها في المكان وهي تترجل من سيارة أبيها, لم يتغير عن أخر زيارة لها , مازال جميلا جذابا ومهيبا والمهندسون يتقاطعون هنا وهناك كل'' لتأدية واجبه داخل وخارج الشركة , لم يتغير شئ في ذلك الممر الطويل المؤدي من البوابة الرئيسية مرورا بمكتب الأمن الى المكاتب في الطابق الأول بذلك المبنى الشاهق ذو الثمانية عشر طابقا .

غمرت(ريم) السعادة والفرحة لأنها أوشكت على تحقيق هدفها المنشود الذي سيصبح بعد عام من الأن قريبا جدا منها.

قادهما المصعد حيث مكتب والدها بالطابق العاشر وشعرت بالفخر وهي تتبع خُطى ذلك الرجل الأول في مجاله دون منافس .. أتُراها ستصل يوما الى ما وصل إليه ؟ وهي التي كانت الشاهد على ذلك المجهود المنقطع النظير الذي بذله , شاهد على إستيقاظه الليالي الطوال مُعلنا تمرده على النوم وإنعزاله عن العالم سابحا بين القلم

والمسطرة وأوراقه البيضاء , أراد التفرد في كل شئ ولم يكن يقبل بغير المرتبة الأولى وقد حصل عليها .

كم كانت سعيدة لأنها تُحظى بأبوين مثلهما لايعرف التعب والكآبة طريقا الى بيتهما الصغير الذي يلون الحب كل ركن من أركانه .

إجتازا مكتب السكرتارية ودلفا الى مكتبه المتواضع مقارنة بحجم المكانة التي يحتلها وأهميتها للشركة. وضع حقيبته على الطاولة وهو يعانق شريكه المهندس (كريم علي) الذي كان بإنتظاره ليطمئن على صحته كما يفعل على الدوام , لقد جعلا الإطمئنان على بعضهما في صباح كل يوم عادة لم تتمكن السنين من أن تبدلها فيهما.

إلتفت إليها موضحا :

_ هذا عمك الباشمهندس(كريم) , أنتي تعرفينه بلاشك لكن اليوم أنتِ معنا بصفتك الهندسية وليس بصفتك إبنتي لذلك على وجودنا بين جدران هذا المكتب أن يبدو عمليا , وهذه يا باشمهندس ورقتي الرابحة التي راهنت بما تبقي من العمر عليها , الأولى على دفعتها على مدى أربعة أعوام وهي هنا لتقضي فترة تدريبها معنا لثلاثة أشهر إبتداء من الأن , أقدم لك الباشمهندسة (ريم) .

توجهت لتحية عمها وصديق والدها الذي تعودت على وجوده في حياتهم منذ نعومة أظافرها , فلم تنسى قط هداياه في أعياد ميلادها وحبه الأبوي لها , قام بدوره مُرحبا بها بحرارة وهو ينظر الى والدها قائلا:

_ لقد فعلتها يارجل , ليس غريبا أن ترث إبنتك كل تلك العبقرية عنك , فكما يقول المثل (هذا الشبل من ذاك الأسد) أنتي إضافة حقيقية لشركتنا ياباشمهندسة , أرينا مايمكنك تقديمه لنا وأثبتي بجداره إنك إبنة هذا الرجل العملاق .

_ سأبذل قصارى جهدي لفعل ذلك ياعمي , أعدك .

_ أثق بذلك , لم تتركي صفة لم تتحلين بها منه حتى ثقتك وكلماتك القوية , أتمنى لك التوفيق من كل قلبي يا أبنتي .

طلب منهما والدها الجلوس وهو يوجه حديثه الى شريكه :

_ بعيدا عن كونها عزيزتنا الصغيرة , أي مجموعة تقترح أن نُلحقها بها كمتدربة ؟

رد عليه (كريم) بعد تفكير قصير :

_ المجموعة الأولى , مارأيك أنت ؟ لنرى كيف ستُبلي بينهم , إن نجحت فنحن حتما بحاجة إليها بعد تخرجها.

_ لا أعتقد إنها فكرة صائبة , عليها أن تتدرج من الأسهل الى الأصعب , فكرت في أن ألحقها بالمجموعة الثالثة ؟

_ أنت تستهون بقدراتها كثيرا ! عليها أن تتعلم أفضل قواعد المهنة لاتنسى إنك راهنت عليها بعمرك .

_ لنجرب إن كان بمقدورها العمل مع الفريق الأقوى ؟

نظرت(ريم) اليهما برجاء وقد شعرت بتوتر مبهج وهي تقول :

_ أرغب بشدة في التواجد مع ذلك الفريق الذي تتحدثان عنه , أعدكما يا أساتذتي أن أكون على قدر ثقتكما .. أريد فرصة فقط إن لم أنجح في العمل معهم في غضون شهر يمكنكما وضعي في المكان الذي يروق لكما ولن أعترض حينها أبدا ..أرجوكما .

قال والدها بجدية وحسم:

_ لذلك المكان قواعد صارمة تختلف عن أي مكان آخر, أولئك المهندسون الذين تطالبين بالإنضمام إليهم لاوقت لديهم للتعرف على أحد أثناء أدائهم لعملهم ولا لتبادل الأحاديث , إنهم يعملون على أضخم المشاريع في البلاد وقد لايجدون الوقت الكافي لتعليمك شيئا ؟

_ سأقتنص الفرص لأتعلم منهم .

_ أؤكد لكِ إن وصلتنا أي شكوى منك لن نترك لكِ الخيار كما نفعل اليوم , قطعا لن نغامر بأفضل مهندسينا لأجل تدريبك .

_ أعدكما أن ألتزم بكل الشروط المفروضة علي ولن أتخطى حدودي أو أسبب الإزعاج لأحد .

.....

وكر الأعداء

قادها شريك والدها الى الطابق الأخير أو كما سمته (ريم) مسبقا في دفتر مذكراتها (وكر الأعداء) .

أخذها في جولة تعريفية لمعاينة المكان وهو يصف لها كل ركن فيه ويقدمها الى العمال ,أشار بيده الى غرفة كبيره مجهزة بكامل أدوات الرسم:

_ هذا هو المرسم , وهناك الذي على يمينه إستراحة المهندسين الشباب .

عبرا مكتبا مُعد لشخصين ومرافقها يقول مبينا:

_ هذا مكتب الباشمهندسة (سوسن) وهي بمفردها لأنها تفضل العمل في جو خاص لايعكر صفوه أحد , أغلب المكاتب هنا فارغة وقد تم تجهيز هذا الطابق بأكمله لفريق مكون من ستة مهندسين هم المميزون في شركتنا , قد تجدين فردا أو أثنين في مكتب , لديهم هنا كل الصلاحيات والحق في هذا المكان , المكاتب سبعة إضافة الى المرسم الذي رأيته قبل قليل وإستراحتان أحدهما للفتيات والأخرى للشباب , كما توجد كافتيريا صغيرة لتلبية طلباتهم .

أثناء مرورهما إلتقطت أذنيها صوتا فريدا إخترق جدران قلبها وإستقر بتساؤلِ مُلح على ذهنها .

إقتربا من أحد المكاتب , طرق الباب شريك والدها وفور دخولهما توجهت نحوهما الأبصار وظهرت الإبتسامات على الشفاه تستقبل الوافدين , ولم يكن السلام أقل إحتراما من تلك الإبتسامات من الشاب والفتاة , خلافا للصمت الذي قابلهما به ذلك المهندس المنحني بإهتمامِ ظاهرعلى (لوحة الرسم) وكأنه خارج نطاق العالم منعزلا عن كل مافيه .

جلسا على مقعدين أحضرتهما لهما الفتاة التي تبدو على ملامحها آثار الغرور والخيلاء , وتولى (كريم) عملية التعريف .

_ إمنحوني بعض الوقت يا أعزائي , ورحبوا بالعضو الجديد بينكم المهندسة (ريم عوض حسنين) , يا أبنتي هؤلاء جزء من الفريق (ولاء) (وليد) (جواد) والبقية لا أدري صراحة أين ذهبوا؟

مدت يدها لمصافحتهما , وقد ذهل ثلاثتهم من الإسم الذي ذكره(كريم) للتو .

نظرت (ولاء) إليها نظرات مجردة وهي تتقدم للترحيب بها , وشع وجه (وليد) ببريق أزاح بعض الخوف عن قلبها , وكانت المفاجأة عندما إلتفت إليها ذلك المنغمس في رسوماته بنظرات قلقة متفحصة .

_ أهي إبنة المهندس (عوض حسنين) أم إنه مجرد تشابه في الأسماء .

تسائل بقلق لم تعرف سره ذلك الصوت الفريد الذي إخترقها قبل برهة من الوقت .

_ نعم , هي إبنته بأم عينها .

كان الجواب بمثابة ضربة قاضية ل(جواد) أستاذ (ريم) الذي ترك الجامعة قبل سنوات بسببها, و هاهي الأعوام تمضي لتجد نفسها أمام الشخص الذي هربت من كل تفاصيله في الماضي .

بادرته الفتاة بسؤال آخر :

_ ماذا تفعل هنا ؟

أذهلتها تلك العدوانية , كذهولها بالتمرد الذي أعلنه قلبها عليها في تلك اللحظة وهي تنظر إليه غير مصدقة ماترى عينيها .

_ ستتلقى تدريبا مُكثفا بينكم , سأذهب الأن وأتركها بين أيديكم مع تمنياتي لكم جميعا بالتوفيق والتعاون لننهض معا بشعبنا وأرضنا.

بداية حب

دق قلبه بعنف وعينيه تنظر إليها وكأنه في حلم لا آخر له , كم من الليالي حاول محو صورتها من مخيلته ونسيان كل ماحدث , كم من الأيام فكر في الإعتذار لها ومساندتها حتى تتمكن من تحقيق حلمها كم أشتاق للتحديات والصراعات معها

هل تتذكره؟

هل غفرت له؟

أيعقل أن يكون والدها الذي قررت أن تكون مثله هو أستاذه الحبيب المهندس (عوض حسنين)؟

شعرت بالضعف يسري في كل أوصالها وعينيها تعانق عينيه في حديث صامت دون حروف ,

لقد إشتاقت إليه الى حد لايمكنها قوله ,

كم من الوقت ظلت تبحث عنه بين الطرقات بعد أن أخذ قلبها ورحل , بحثت في كل مكان ولم يخطر ببالها إنه قد يكون في شركة والدها الذي لايكف عن الحديث عنه وهو يؤنبها على سوء رسمها ويطلب منها أن تكون مثل الباشمهندس(جواد) , الأن ماذا ستفعل بكل هذا الشوق له ؟ مازالت تناضل من أجل حلمها , هل ستحاربه وتحارب قلبها مرة أخرى من أجل أحلامها وتزيحه عن طريقها كما فعلت من قبل؟

تذكر المشروع الذي بين يديه وكيف أن هذه الفتاة قد جعلته يتخلى عن منصبه في الجامعة من قبل رغم حبه للتدريس وبلاشك لن يسمح لها بتكرار فعلتها مهما حدث بل سيعتبرها عقبة في طريقه عليه تخطيها والمضي قدما , هذه المرة لن يترك عمله وحلمه هو من أجل أحلامها وسيقاتل حتى الموت كل من يقف في طريق طموحاته حتى لو كانت إبنة مديره .

إنصرف (جواد) و(ولاء) الى مناقشة ذلك المشروع أمامهما وهما يضحكان بسخرية وكأن (كريم) قد ألقى مزحة على مسامعهم للتو, بينما جلس (وليد) على المقعد المجاور لها مبتسما وهو يقول:

_ مرحبا بك , نحن سعداء لأنك هنا .

تلك المجاملة من الشاب اللطيف جعلتها تبادله الإبتسام وشجعتها لسؤاله عن المهام التى يوكلون بها متجاهلة أولئك الأثنين كما تجاهلوها لتبرز لهم من يومها الأول قوتها وصلابتها , وهي تتصرف بحرية متنقله بين المكاتب والكافتيريا لتكوين صداقات ومعارف .

عند إستعدادها للمغادره في المساء , وصلها صوت (جواد) قائلا :

_ لماذا أنتي هنا ؟ هذا المكان ليس مخصصا للمتدربين, نحن نعمل هنا لا نلعب .

تقدمت نحوه وهي تنظر الى عينيه بتحدي قائلة :

_ أنت وتلك التي معك وقحان للغايه , أنا هنا لأعمل وليس للرد على أسئلة أمثالكما أو قضاء وقت لطيف بينكم , لم أتي أيضا لألعب .

_ من الوقح بيننا بربك ؟ نحن هنا بشهادات ومؤهلات وخبرات , لا بواسطة والد ولا صديق .

قبل أن تفتح فمها لترد عليه دون إعطاء أي أهمية لتلك الجرأة التي أبدتها في حديثها معه سمعت صوتا خلفها يقول :

_ كما وصفتكما للتو هذه الفتاة ياأصدقائي أنتما اليوم وقحان بالفعل , أهكذا نستقبل ضيوفنا ؟ عليكما أن تأخذا بعين الإعتبار يا(جواد) أن المهندسة(ريم) كانت الأولى بكلية هندسة المعمار طوال سنواتها الأربعة الماضية , مثلك تماما عندما بدأت العمل معنا هنا , يومها لم نستقبلك بهذا البرود , لا أنت ولا (ولاء) يبدو إنكما قد نسيتما ذلك مع مرور السنوات.

حولت عينيها لترى تلك التي دافعت عنها بإستماتة ولم تكن سوى (سوسن) التي تعرفت عليها في الكافتيريا منذ ساعات والتى قبلت دعوتها على إحتساء الشاي معا تعبيرا عن سعادتها بها.

الحلم يلغي الحب

تذكرت كلمات والدها في صباح هذا اليوم وهي تتجه نحو الطابق العاشر بكل ماتملك من شجاعة والتي في الواقع لم تكن كبيرة على الرغم من الإرادة الصلبه التي تُبديها:

_ لدينا إجتماع الساعة التاسعة بقاعة الإجتماعات التي تقع أمام مكتبي , إذا أردت التعلم عليك الإبتعاد عن أثنين (ولاء) و(حيدر) , كل فرد عدا هذين الأثنين سيمد لك يد العون .

عند وصولها قاعة الإجتماعات وجدت (جواد) و(ولاء) قد سبقاها الى هناك وهما يجلسان متقاربين حول الطاولة المستديرة .

لم تقابلهما منذ الصباح, ولم تحتك بهما بعد آخر محادثة دارت بينهم بالأمس .

ليس من طبعها تهميش أحد لكنها لم تنسى إنها في (وكر الأعداء) وهم من أعلنوا الحرب عليها أولا , جلست على أول مقعد شمال المقعد المُعد للمدير ونظراتهما تتابعها بغرابة .

_ هنا غير الجامعة , عندما تدخلين الى مكان ما عليك طرق الباب وإلقاء التحيه .

تعمدا إستفزازها مرة ثانيه , ومن سوء حظهما لم تقابل تعليق(ولاء) بالصمت وهي تنظر إليهما نظرات إزدراء مشوبة بالشفقه قبل أن تقول :

_ أقسم لكما إن لم تكفا عن تعليقاتكما السخيفة هذه سألقي بكما خارج هذه الشركه اليوم قبل الغد , أنتي وهو لاتنسيان أبدا إنها شركة والدي وأنتما مجرد عاملان بها مهما بلغت مكانتيكما , إن كنتما مُعقدان أو مُصابان بمرض نفسي فهذه ليست مستشفى

لتبرهنا فيها إختلال عقليكما , من يحتاج لدرس في التعامل ياسيدتي أنت ولست أنا فأنا هنا لأعمل وأنجح إن كنتما تملكان الجرأه حافظا على مكانيكما طوال فترة عملي هنا .

ثم جلست وهي تلقي نظرة على ساعتها لترى كم تبقى من زمن الإجتماع , لقد تخطت لتوها العقبة الأولى .. ووجوههما المذعورة جعلتها تشفق عليهما بشده.

ظهر(عامر) و(سوسن) ثم (حيدر) يعقبه(وليد) الذي جلس بالقرب منها وهو يجدد ترحيبه بها بإبتسامة واسعة وعندما دقت الساعة التاسعة كان قائد الفريق (عوض حسنين) في مكانه .

إستمر الإجتماع ما يقارب الساعتين و(ريم) تحاول إلتقاط المعلومات التي تصل الى أذنيها وإستيعاب المناقشات الدائرة حولها .

تم تكليف (جواد) بمهمة تدريبها في نهاية الإجتماع ثم تفرقوا الى مكاتبهم لتنفيذ الأوامر .

إسترقت (سوسن) السمع لتتبين ذلك الصوت الحزين في إستراحة الفتيات:

_ الحياة العملية صعبة جدا , لقد قُضي علي , لم يجد والدي غير (جواد) هذا ليضعني في عهدته؟ لماذا أجدك الأن بعد كل تلك السنوات التي إنتظرتك فيها ولم تأتي ؟ لماذا يعاقبني القدر هذا العقاب القاسي وكأنه يقول لي أليس هذا من رسمته فارسا لأحلامك منذ قديم الزمان ؟ لماذا تطابق كل أحلامي هذا المدعو (جواد) ؟ لقد قُضي علي , قُضي على مستقبلي , عندما أردت الحب كنت أنت بعيدا , وعندما وجدتك بات الحب بعيدا , لقد مر اليوم الثالث ولم يساعدني أحد أخشى أن يمر الشهر دون أن أفعل شيئا , لم أتوقع أن أواجه كل هذه الصعوبة في العمل ! لماذا يعاملونني بهذه الطريقة وأنا لم أطلب منهم سوى العلم والمعرفة ؟ ساعدني يارب فأنا أشعر بالضعف والعجز , ليس لي سواك ياربي كن بجابني أنا بحاجة إليك .

إبتسمت (سوسن) وهي تتقدم نحوها لتجلس قربها بحنان أخوي قائلة :

_ (ريم) لاتقلقي ياصغيرتي , أنتي محظوظة لأنك ستتدربين على يد (جواد) إنه شخص طيب صدقيني , ذلك القناع الذي يظهره لك ليس حقيقته , ستكشف لك الأيام معدنه الأصيل , في هذه الفتره نعاني جميعنا من ضغط حاد في العمل لأننا نعمل على مشروع فريد وضخم لنهضة البلد , إلتمسي لنا العذر أرجوك .

أستاذ للمرة الثانية

وجدت الدعم من (وليد) و(سوسن) وهما يخصصان لها مايسمح به وقتيهما لتدريبها قبل أن يتولى (جواد) المهمة عنهما .

أدرك (جواد) أن لامفر من تدريب(ريم) ولابد من تنفيذ أوامر رئيسه حتى لو لم تكن عادلة هذه المرة لأنه يعلم ضخامة المسئوليات الملقاة على عاتقه , وأخبرها أنه سيباشر تدريبها من الغد .

إكتشفت (ريم) أن (سوسن) على حق بعد مرور الشهر الأول لها برفقته , لم يكن بتلك السوداويه التي توقعتها .

وجدت شخصا آخر لايمت بصلة الى ذلك الذي إلتقته من قبل , وصدقت حديث(سوسن) عنه وعن ضغط عمله وهي ترى هالات السهر مرسومة بوضوح حول عينيه .

وعندما عادت بذاكرتها للوراء إتضحت لها معالم لم تراها من قبل .

فنظراته لها ذلك اليوم في مرسم الكلية سردت على عينيها ملايين من الكلمات العميقة التي لايوجد معجم على ظهر الأرض بوسعه ترجمتها .

حملت إليها عينيه إلفة ومعزة وإعجاب لم تراهم في عيني أحد , كيف لشخص تبوح عيناه بكل هذا الوئام والفخر أن يعاديها ؟ وقد شعرت بضيقه عدة مرات من إستفزاز (ولاء) لها .. تلك التي لم تطق وجودها منذ البدايه .

طيلة فترة تدريبها لاحقتها نظرات الإعجاب ممن حولها بمن فيهم أفراد فريقها الذي تعمل معه , خلافا لذلك الشاب الأسمر ذو القوام الفارع الرشيق والمعتز بنفسه لحد يُقارب الغطرسة والغرور , فقد كانت نظراته لها تشف عن الكثير من الاحترام والفخر في تلك الاوقات المختلفة التي تتقابل فيها نظراتهما.

لم تتمكن من نسيان دقة قلبها المختلفة عن العادة كلما نظرت إليه لاتدري أي شئ تغير بداخلها عندما إلتقت به لأول مرة في قاعة الرسم قبل عامين؟

لكنها أدركت أن ثمة تغيير مفاجئ إقتحم قلبها لم تشعر به قبل رؤيته , فهو مختلفا عن كل من تعرف , في قسمات وجهه الحازمة وملامحه الهادئة , في طريقة كلامه الرائعة المعبرة عما يقوله والتي تزيح الستار عن رجل ذو معدن أصيل ..

قروي رغم تمدنه .. يبدو طبيعيا في كل شئ , في شعره القصير الخالي من الأصباغ والمواد التجميليه التي يستخدمها بعض الشباب , في يديه الصلبتان الخشنتان وقمصانه ذات الأكمام الطويلة الواسعة , رجل غريب , يجمع بين صفات القرية والمدينة في تناقض ساحر أفقدها قلبها منذ أول لقاء لهما , وقلب قاموس حياتها رأسا على عقب, وكأنه فارس أحلامها المنتظر الذي يئست من العثور عليه في عصر السراويل الضيقه والأيادي الناعمه.

وتذكرت اليوم الذي أتتها فيه صديقتها (لينا) مهرولة والفرحة لاتكاد تسعها وهي تتنفس بصعوبة قائله :

_ ريم ريم ريم , لدي خبر سار

_ ماهو؟

_ (مجاهد) ميكانيكا

وإنتظرت (ريم) صديقتها التي إنفجرت تقول بحماسة و صوت تملؤه الدهشة والسرور:

_ لقد أوقفني قبل قليل في كافتيريا الجامعه وأخبرني إنه يحبك وهو الأن ينتظر منك الجواب.

ضحكت (ريم) بعلو صوتها وسط دهشة الفتيات في إستراحة الجامعه , فهي تعلم إنها كانت محط أنظار الشبان وعرضة لملاحقة الكثيرين منهم فقالت بإستخاف:

_ (مجاهد)! طالب ميكانيكا؟

_ نعم , هل نسيته ؟ الشاب الذي يشبه الممثل التركي مهند.

_ لا لم أنساه , لماذا يحبني أنا وكل فتيات الجامعه يتمنين نظرة منه؟

_ هكذا هو الحب , آه تصوري إنك على علاقة بأجمل شاب في الجامعة.

كانت (لينا) تتحدث بطريقة حالمه ونبرة رومانسية , قبل أن توقفها (ريم) بحركة من يدها قائلة وهي تجمع (المسطرة)و(المثلثات) إستعدادا للذهاب الى المرسم لتكملة المشروع الذي ستسلمه في نهاية الإسبوع:

_ (لينا) لاتكوني سخيفة , أشباه مهند ومجاهد الذين تتحدثين عنهم أفضل الموت على أن أرتبط برجال أمثالهم ,هل تتوقعين مني أن أقع في غرام شاب يرتدي (تي شيرت) يلتصق به وهو يتفاخر أمام الفتيات بعضلاته المفتوله وثيابه ونعومة جسده , مستحيل.

أصيبت (لينا) بخيبة أمل لكنها كتمت غيظها وهي تسير خلفها الى المرسم قائله:

_ من يراك لايظن أبدا إنك تمتلكين هذه العقلية المتخلفة ياصديقتي.

إبتسمت(ريم) وهي تتحاشى نظرات(لينا) المذهوله وتتابع بقولها:

_ الرجل الذي سأحبه أنا أهم مايميزه شخصيته الكاريزميه التي تأسر القلوب بقولها وفعلها , أن يكون رجلا عبقري حيوي ناجحا ومكافح يتمتع بالشموخ والعزة والثقة بالنفس , أن يرتدي قمصان ذات أكمام طويلة وسراويل واسعه , أن يكون أنيقا بملابسه المحترمة الوقورة , وأن يكون ذو جاذبية خاصة وطبيعة عفوية وشخصية قوية كفرسان العصور الوسطى تماما , ما أنتظره فارسا نبيلا ياصديقتي , لايلفت هؤلاء الشبان الذي يهتمون بأجسادهم وألوان ثيابهم نظري ألبته.

ضحكت (لينا) وهي تقول بسخرية :

_ فارس نبيل ؟ وفي عصرنا هذا ؟ ستفيقين من أحلامك يوما على عنوسة مؤكدة يا(ريم).

وتمنت لو كانت (لينا) هنا اليوم لتراه , لترى ذلك الفارس الذي حدثتها عنه طوال سنوات الجامعة وأقسمت عليها هي إنها لن تجده , لكن صديقتها الحبيبة تزوجت من طبيب مقيم بفرنسا ورحلت معه لتكمل ما تبقى من دراستها هناك, بعد أن تركت ورائها فراغ كبير وإحساس بالوحدة مازالت (ريم) تعيشه وهي تسهو مع صورة لهما معا في ذلك البرواز الذهبي قرب فراشها كل ليلة , كم تمنت لو لم تتزوج (لينا) بذلك المغترب الذي لاتربطها به أي علاقة حب سوى إنه سيأخذها الى بلاد طالما حلمت بالذهاب إليها .

الأنثى الأكثر جمالا

(ريم) الإبنة الوحيدة ل(عوض حسنين) مهندس المعمار الذي إجمع الكل على براعته ومهارته في هذا المجال الذي لم يضاهيه فيه أحد في تلك الحقبة الزمنية والمالك لشركة (النجمة الهندسية) الذي غير واقعه من فقير معدم الى بطل روض العواصف ونازل المستحيل ليصنع قدره بنفسه.

فتاة تمتلك جمالا مربكا وقواما مثاليا , كل مافيها ينبض جمالا وأنوثة من رأسها حتى أخمص قدميها.

أنثي مستقلة وذكية , نشأت في بيت مليئ بالقيم الجميلة والاخلاق الطيبة فأبويها معلمي أجيال تعلمت منهما أجمل السلوكيات التي بدورهما زرعاها في أجيال المستقبل ..

والدتها أستاذة بمرحلة الأساس , ووالدها أستاذ بكلية الهندسه .

تعلمت منهما إحترام الذات وإحترام الاخرين ماهي حقوقها وماهي حقوق الأخرين وماهي حقوق المجتمع عليها .. تعلمت منهما الإجتهاد من أجل الوصول الى أهدافها وتقديم المساعدة والخدمة لكل محتاج.

تعلمت منهما الصلاح والكرامة والعزيمة والصدق والإيمان .

درست الهندسة لأنها أحبتها من أبيها الذي كان يعشق مجاله الى الحد البعيد ..

كانت تجلس بجانبه الساعات الطوال تراقبه وهو يعمل حتى يغلبها النعاس فتستسلم للنوم وتنام وهي تحلم بأن تكبر سريعا لتصبح مثله .

وهاهي الأعوام تجرى سريعا لتقترب من الحلم الذي تسلحت له وعاشت لتحققه .

الهندسة شغفها وحبها في الحياة .. دخلت كلية الهندسة وصممت على أن تنجح في هذا المجال كوالدها

منذ السنة الأولى لها بالكلية إجتهدت بشدة لتبرهن للجميع تفوقها وتسكت تلك الأفواه التى تنعتها بإبنة الأستاذ .

حتى والدها كان يعاملها داخل حرم الجامعه مثلها مثل أي طالب لديه ولم يميزها يوما عن الأخرين .

فهو أستاذا ناجحا وصارما ومن الجدير بالذكر إنه يُحظى بإحترام كل طلابه ومحبتهم اللامتناهيه .

قبل أن تُقرر الإلتحاق للتدريب بشركة والدها أدركت جيدا إنها ستجد منه معاملة شديدة لأنه لايحب الموظفين الكسولين الذين ليست لديهم الرغبة في التطور والتقدم وإضافة مايحتاجه المجال من إبداعات وأفكار متجدده لكنها كانت تدرك أيضا إنها لن تتعلم شيئا إن لم تعمل معه كمعرفتها أن وراء تلك القسوة والشدة يكمن قلبا محبا لايرغب في شئ سوى إيصالها الى أعلى مراتب النجاح.

ولاشك في إنها ستُغرم بذلك الرجل الذي يشبه والدها الى حد بعيد.

الرجل الساحر

يقيم في منزل بسيط مقابل الشارع الرئيسي مع أسرته المكونة من والدين وشقيقتان وأخ .

تعلم تحمل المسؤولية منذ وقت مبكر لأنه أكبر إخوته, وكان يساعد والده في (الدكان) الذي يملكه منذ صغره.

منزله كأي بيت عادي .. بسيط ومتواضع خالي من مظاهر الترف والثراء .. منزل يليق بوالد يملك (دكان) صغير في (حي شعبي) وأم (ربة منزل) لم تُكمل تعليمها يكافحان لتربية أبنائهما بشرف وكرامة ..

أحب الرسم منذ طفولته لذلك ناضل لدخول كلية الهندسة ليحافظ على المرتبة الأولى منذ أول إمتحان له بالجامعة وحتى تخرجه , ثم واتته فرصة للعمل في جامعته عقب تخرجه منها , فقضى بها بعض الوقت قبل أن يبدأ حياته العملية بشركة أستاذه(عوض حسنين) تنفيذا لرغبته في إنضمامه إليه للعمل ضمن فريق له ووافق(جواد) لأن الراتب الذي منحنه إياه كان أفضل من الراتب الذي يتقاضاه من الجامعة ..

وبدأ مشواره العملي .. ولأجل حبه لعمله وللهندسة بشكل خاص نجح في أن يتولى أعلى المناصب بالشركة بعد رئيسها وتمكن من البقاء في المقدمة دائما.

في العادة هو من أولئك الأشخاص الذين يؤمنون بأن تحقيق الاهداف يحتاج الى بذل مجهود أكبر من المعتاد لذلك أسعده ان يتذوق ثمرة تعبه وسهره وجهده.

إبن العز والثروة

(حيدر) هو الاخر مهندس مدني .. ينتمي لعائلة تتصف بالثراء والجاه والمكانة الإجتماعية الرفيعة ..

لاهدف محدد له في الحياة فكل مايطلبه يجده حاضرا امامه .

درس الهندسة لمجرد إنه لايريد أن يصبح طبيبا مثل كل أفراد العائلة التى تحشر جميع أبنائها زمرة واحدة في المجال الطبي لتتفاخر بهم وسط المجتمعات .

ونسبة لأن والده صديق مدير الشركة التي يعمل بها (جواد) تم تعيينه .

لم يكن لديه إستعداد ليكافح ويناضل من أجل الحصول على شئ فهو بعد مرور عدة سنوات من عمله بالشركة سيتخلى عنها ليفتتح شركته الخاصة ويصبح منافسا لها في هذا المجال.

لكن مما لاشك فيه إنه بارع في الرسم وإدارة الأعمال الهندسية بجدارة لذلك تمكن من البقاء ضمن فريق المهندسين الأول .

سلطة الأحلام

الاحلام .. لغة قاسية مبهمة , تجبرك على النهوض آلاف المرات لتسقطك ألف مرة ..

لغة كالحب تماما .. يجذبنا بريقها وأنوارها وقصورها العالية..

لكن لايوجد سوى السراب داخلها ..

للأحلام قوة بوسعها تحطيمنا من أعماق الأعماق وجعلنا أشلاء متناثرة ..

قوة بوسعها جمع أجزائنا المبعثرة وإعادتها الى الحياة..

عالم الاحلام .. مليئ بالتحديات والعقبات والورود الجميلة ..

وطن يجبرنا على الإنتماء له , وطريق لابد ان نعبره مهما كانت أعمارنا ومعتقداتنا ..

الأحلام هي الدافع والأمل في الحياة ..

تقودنا الى طرق الخير وفي ذات الوقت تسحبنا الى طرق الشر ..

هي شئ يتعلق بنا , بوجودنا وسعادتنا وحريتنا هي مانتوق إليه جميعا في لحظات صفائنا أو قمة يأسنا , كم حلم أزلناه مرغمين عن لائحة الأحلام ؟ كم حلم أضفناه الى تلك اللائحة ؟

أزلنا الكثير وأضفنا الكثير ولازلنا نفعل ذلك وسنظل نفعله حتى نموت ؟ لأن شخصا خاليا من الأحلام هو شخص ميت جزئيا , مرغمين دوما على أن نحلم ونتمنى وندعو بشغف لتحقيق أحلامنا , قد تكون وقد لاتكون ؟! قد تتناثر مع الرياح وقد نجمع شتاتها وننجح

الفشل والنجاح إختبارات تضعنا الحياة فيها بين الحين والآخر , قد ننجح وقد نفشل ويبقى طعم النجاح ممتعا ويبقى طعم الفشل مُرا قد يخنقنا حنظله والحياة تستمر لايهمها كم من الخيبات نعانى كم من الجراح نحمل كم من الأحلام ماتت وبكينا بحرقة على

قبورها لايهمها سوى إستمراريتها وإستمرارنا بها , تواسي من يسقط وتصفق لمن يبني حلمه مرة تلو الأخرى وينجح رغم كل هزائمه .

الأحلام .. تقيدنا ..تكبلنا ..تحكمنا ..وتفرض وجودها علنا في عوالمنا لتضئ لنا مصباح الحياة أو تطفئه ..

حبك يسرقني مني

أحبها منذ أول يوم رآها فيه .. حاول كثيرا تجاهل ذلك الإحساس والتركيز على عمله وأداء وظيفته على أكمل وجه .

لكنه لم يستطيع تمالك نفسه تلك الليله ..كان لأول مرة على سجيته ..بعيدا عن (جواد)المهندس الذي تتلقي الأوامر منه طوال الوقت .. كان الرجل الذي أحبها دون أن يعلم متى وكيف؟

كثيرا ماشعر بحبها له من مواقف مختلفه .

كانت تثق به دوما وتعامله بشكل منفرد.

في أوقات كثيره عندما يقترح عليها احدهم توصيلها في طريقه كانت ترفض وتفضل البقاء لإنتظاره حتى يُنهي كل أعماله ويقوم بأخذها الى المنزل .

تجلس الساعات الطوال برفقته في المكتب تراقبه وتحاول تقليده والعمل مثله .

كم من مرة ضبطها ترتدي طاقيته وتجلس على مكتبه وهي تنكفي على الرسومات وتنظر إليها بتمعن وهي تبتسم لتقليدها له.

أحاسيس مبعثرة

منذ لقائها بالفريق الذي ستعمل برفقته لم يلفت نظرها سوى (جواد) برشاقته وأناقته والكاريزما الساحرة التي تكون شخصيته .

أُصيبت بمشاعر متناقضة بين السعادة والقلق عندما أخبرها والدها أن المهندس المسؤول عن الموقع الذي ستعمل به هو الباشمهندس (جواد) .

فقد أدركت منذ اللحظة الأولى أن لاشخص آخر يمكنه قيادة فريق بهذه الروعة والإنسجام سواه.

فالجميع ينحني له إحتراما وتقديرا من أصغر عامل حتى مدير الشركة والدها.

لم تتوقف عن التفكير به طوال الوقت.

صادف كثيرا أن كانا بمفردهما في المكتب , هو يعمل على جهاز اللابتوب وهي تتسلى بهاتفها .

سألته في أحد المرات وقد نسيت مؤقتا الخلافات والحواجز التي تفصل بينهما:

_ هل لديك حساب على الفيسبوك ياباشمهندس؟

شرد به الخيال لحظات عدة وأجاب بغير إهتمام:

_ ومن لايمتلك حسابا على الفيسبوك في هذا العصر ياباشمهندسة .

لم يزد على ذلك ولم تطلب منه إضافتها الى قائمة أصدقائه فقد بدا لها مشغولا لدرجة إنه لن يسمعها إن طلبت منه ذلك .

.....

الفريق الأقوى

تجمع بين ذلك الفريق علاقة معقدة تتراوح بين المنافسة الشريفة والصداقة المتينة .

منذ الوهلة الأولى تخالهم يدا واحدة وفريقا من فرط قوته لايمكن قهره , لكن عندما تقترب منه تقف حائرا أمام تنافس أفراده وهوسهم بالرسم والتصميم والوصول الى أعلى مراتب النجاح بنزاهة وذكاء .

تجد نفسك أمام أشخاص تفوق طموحاتهم قمم الكواكب وشفافيتها وبُعدها وتسبح بهم بين المدارات الشاسعة المدى , أشخاصا مجانين بالرسم وفنونه ومنغمسين فيه للحد الذي يهيمون به بين خطوطه وتعرجاته الليالي الطوال .

صديقي وحبيبي

أكملت (ريم) فترة تدريبها وإستلمت شهادتها في حفل توديع صغير أقامه لها الفريق الذي عملت تحت إشرافه وغادرتهم على أمل اللقاء بعد عام .

إنغمست بشراهة بين الكتب ومشروع التخرج أملا في حصد أعلى الدرجات وتحطيم الرقم القياسي بالكلية ونالت ماتصبو إليه بإمتياز وجنت ثمرة تعبها وهي تتسلم شهادتها الجامعيه والهدايا التي قدمتها لها إدارة الجامعة في كرنفال التخريج الذي شرفه والدها وطاقم شركته .

بعد تخرج (ريم) وعودتها الى الشركة إختارت المكتب الذي يعمل به الباشمهندس(وليد).

إستقبلها(وليد) ببشاشة وترحيب حار وهو ينقل معها كل أدواتها ويساعدها في ترتيبها .

نشأت بينهما صداقة جميلة نسبة لتقارب أفكارهما وتشابههما في عدة أشياء وإنسجامهما معا في العمل , وأصبح مكتبهما من أكثر المكاتب التي يحبها الناس في الشركه لأنهما شخصان مرحان ويبتسمان بطيبة في وجه كل زائر لهما حتى في أوقات إنشغالهما.

شكلا ثنائيا رائعا , ولم تواجه (ريم) أدنى صعوبة في التعامل مع (وليد) بالرغم من خبرته التي تفوق خبرتها بأعوام طويلة .

لم تشعر يوما وهي تقاسمه ذلك المكتب بأنها أقل خبرة ومعرفة منه كما تشعر أمام المهندسين الأخرين.

(ولاء) تعاملها بتعالي وتكبر وعداء عجزت عن معرفة أسبابه وتتعمد إثبات أخطائها في مواقف كثيره لتثبت لها في كل مرة إنها لاتعلم شيئا أمامهم ,مما أجبرها على الإبتعاد عنها وتحاشي التعامل معها .

بينما (عامر)الذي لايكف عن الحديث عن زوجته وقصة الغرام التي جمعت بينهما في أوقات الفراغ التي يقضيها برفقتهما في المكتب تبوح عن شخص يُحب المزاح والضحك , خلافا ل(حيدر) الذي لايختلف كثيرا عن صديقته (ولاء) التي تشاركه المكتب , في غرورهما وتعاليهما على الأخرين .

(سوسن) إمرأة طيبة ورقيقة , تعاملها كأخت وصديقة وتقدم لها النصح والتوجيه وتقف في صفها دفاعا عنها في مواقف لاتحصى .

نظرا لكل تلك الإختلافات بينهم كانوا الفريق الأقوى ربما يرجع السبب في ذلك الى تنافسهم فيما بينهم ,أو لتلك الصداقة التي تربطهم على الرغم من إشتباكات العمل القليلة والتي كانت أبسط من أن تخلق العداء بينهم.

فهي تذكر ذلك اليوم الذي إقتحم فيه (حيدر) مكتبهما وهو يتحدث بإسلوب غاضب وكلمات جارحة لأن (وليد) أغلق باب الإستراحة الخاصة بهم ,كلمات لم تنسها(ريم) قط لأنها أساءت الى(وليد) الذي تكن له من المودة والإحترام والإمتنان ما لايُعد .

يومها لم يرد عليه (وليد) ولا بحرف وهو يتعمد الإنشغال بجهاز الكمبيوتر الذي أمامه واضعا مفتاح الإستراحة على طرف الطاولة القريب من (حيدر) , والأخير يقول من فوقه:

_ إن كان منزلكم ضيقا وزوجة والدك ترمي بتصاميمك الى الخارج ماذنبنا نحن لتغلق الإستراحة طيلة الوقت بسبب رسوماتك السخيفة هذه آخر مرة أحذرك فيها , وأعلم إنك تسمعني جيدا.

أخافها الغضب البالغ في صوته , نظرت الى (وليد) والدموع تتجمع في عينيها بعد خروج (حيدر) , لم يشح ببصره عن شاشة الكمبيوتر وهمست بإعتذار:

_ (وليد) ..

مسح عينيه بيده وكأنه يحاول أن يمحو الذكريات المؤلمة :

_ لاتقلقي يحدث هذا دائما يا(ريمو), نحن أصدقاء نختلف أحيانا ثم نعود كما كنا وننسى كل شئ , هذه المرة المئه التي أسمع فيها من (حيدر) مثل هذا الكلام , لم يعد يؤلمني الأن كأول مرة سمعته فيها.

_ الصديق لايقول لصديقه مثل هذه الأشياء أمام الأخرين .

نظر إليها (وليد) قائلا وقد شعرت بالدفء المنبعث من نظراته التي غمرتها:

_ والصديق أيضا يحمل قلبا نقيا تجاه صديقه , (حيدر) لم يقل شيئا غير الحقيقة , لايمكن أن ألومه على قول الحقيقة يا(ريمو) , دعينا من هذا الأمر أرغب في التحدث إليك عن أشياء أهم , هل يمكنك لقائي هذا المساء ؟ ماأريد قوله لايمكن الإفصاح عنه هنا .

فتحت فمها لتجيب لكن إطلالة(عامر) المفاجئة جمدت الكلمات على شفتيها,وهو يقول من خلف الباب متسائلا:

_ أيمكنني الإستفسارعن شئ يا(وليد)؟

_ بالطبع يا(عامر).

ولج عامر الى الداخل وهو يحمل أحد الخرائط بيده ليقطع عليهما بقية الحديث .

ثم إنضم إليهما بعد برهة من الزمن (جواد) وإنكفوا على تلك الخريطة بإهتمام , بينما إنشغلت هي بدقات قلبها المتسارعة وهي تنظر إليه من على البُعد وتتسائل إن كان سيحبها يوما؟ إن كان سيشعر بدقات قلبها وأرقها ؟ إن كان يهتم لوجودها أو يفتقدها في غيابها؟

أسئلة كثيرة كانت تدور بعقلها الباطن تعجز عن طردها أو إيجاد إجابات لها؟ فعلاقتها بذلك الفارس الذي إنتظرته طويلا علاقة حب كبيرة ,تاريخ من العشق العذري الطاهر وملاحم من الأشواق العميقة .. قصتها معه أكبر من أن يصدقها عقل ساذج ..

تربطها به صلات عميقه وتبعده عنها مسافات قصية , تجذبها كل مرة عفويته وبساطته وتلك الأناقة الفطرية التي تتحلى بها شخصيته إنه من ذلك النوع الساحر الذي تتمنى قلوب العذارى أن تُغرم به طوال حياتها فهو شخص بسيط غير متكلف وخالي من عُقد الحياة والبشر يدخل القلوب ويمتلكها دون منازع.

وصل الى مسامعها صوت(جواد) وهو يضع يده اليسرى على كتف (وليد) ويقول بلهجة منطقية ناظرا إلى(ريم) بعينين تتقدان غراما وكأنه يوجه الحديث لها, رفعت على إثره رأسها لتواجه نظراته الفولاذية بعينان لاتطرفان :

_ (بين الجنون والعبقريه شعرة) ..إمنح الحياة كل مالديك ولاتلتفت خلفك أبدا لرؤية من يتحدثون عنك لاتُعطهم وقتا ولاتستمع لتلك الترهات أبدا فقط إمضي في طريق نجاحك وحتما ستصل, فالنجاح يحتاج الى جرأة لو تطلب الأمر حارب العالم كله لتحقق أحلامك ولاتتردد في أن تكون جريئا لأجلها بتلك الطريقة فقط ستصبح أسطورة كل الأزمنة .

ثم خرج بخطواته الواسعة حاملا نظراته الغريبة معه , شعرت بأن تلك الكلمات مألوفة لديها كما هي ملامحه التى لم تعرف بعد أين إلتقت بها وسط زحام الحياة , و أدركت في تلك الآونة أن طريق النجاح وحده هو الذي سيوصلها إليه لذلك عليها أن تنجح بجدارة لتثبت له أن تدريبه لها لم يذهب أدراج الريح.

تنبهت لأنفاس(عامر) خلفها وهو يحاول كتم ضحكته ويقول بصوت خافت لايسمعه غيرهما:

_ لقد ذهب يا(ريم)..

أمالت رأسها قليلا لرؤيته وهي تعود بظهرها للخلف متكئة على يد المقعد والفزع يقفز من خلف عينيها المتسعتين على آخرهما وملامحها تنعكس مُدعية عدم معرفتها مايقصده وقالت بصوت خشيت أن يتلاشى أمام إرتباكها وبعثرتها القلبيه:

_ من ؟

_ (جواد)..

وإنتفض قلبها في مكانه وهي تقول بإستنكار:

_ ما شأني أنا به ؟ ليذهب ..

_ لاتنكري , نظراتك كانت واضحة وضوح الشمس أنتي تعشقينه إن إعترفت أم لا ..

_ مزاحك اليوم ثقيلا يا(عامر) , سأخرج لبعض الوقت .

حاولت أن تبدو طبيعية وهي تحاول إقناع (عامر) بكلامها قبل أن تخرج , لكنها كانت تدرك في أعماقها إنه صادق في كل كلمة قالها.

على ضفاف الحلم

كيف يمكنك معرفة أن شخص ما دون الآخرين يعشقك؟

كيف يمكنك التصرف امام شخص تُكن له نوع خاص من المشاعر ؟

كيف يمكنك السيطرة على قلبك؟

على دقاته؟

على نظراتك؟

على نبرة صوتك؟

وكل مافيك يفضح عشقك له

كيف يمكنك إخفاء ذلك الامر وعينيك تنظر الى عينيه , وصوتك يرتجف وأنت تتحدث إليه؟

يداك تتعرق وترتعش عندما يقترب منك او يمر بجانبك؟

تلك كانت حالة (جواد) و(ريم) وهما يكتفيان بقرب المسافة بينهما ..

يكتفيان بتلك اللحظات الصامتة التي يقتسمانها معا..

بتلك الإبتسامات الصافية والنظرات الدافئة الحنون ..

على ضفاف الحلم التقيا يوما , ومن يدري فرُب صدفة أُخرى قد تجمعهما رغم إختلاف الطرق والأماكن رغم إختلافهما .

ذات القدر الذي جمعهما ليعملا معا بين جدران شركة واحده سيجمعهما حتما مرة أخرى على طُرق الحب..

بهما إيمان عميق بذلك , كل هذا الحب بقلبيهما لن يضيع ,

كل هذا الايمان لن ينتهي ..

سيعيشان يوما هذا الحب , لابد أن يعيشاه ..

أن يضعا أقدامهما داخل ذلك العالم الذي توجا به أميرا وأميرة وفرشت لهما عليه كل أنواع الورود ليأتيا ويجلسان على عرشه ..

راهن عليهما القدر بكل صفقات الحب وهوس الأحباب.

راهن على قلبين كانت أحلامهما دوما أكبر من كل هم في الحياة .. والحب لديهما رخيص بلا ثمن أمام الحلم.

تمنيتك معي

بعد خروج (ريم) أغلق (عامر) الباب وجلس قائلا ل(وليد) الذي عاد للعمل على جهاز الكمبيوتر بنبرة قلقه:

_ (وليد) , ربما يجدر بي قول شئ لك ..

_ تحدث ..

_ إترك عملك هذا قليلا وإسمعني ..

نهض (وليد) عن مقعده الجلدي من خلف مكتبه ليجلس قبالتة قائلا:

_ كُلي آذان صاغية ..

بدا(عامر) على غير عادته وكأنه يخوض معركة داخلية قبل أن يقول:

_ لا أدري من أين أبدأ , لكن ينبغي أن أتكلم ..

إنتاب (وليد) شعورا بالقلق وعينيه تتسائل ناظرة بإهتمام الى (عامر) الذي تابع حديثه :

_ بالرغم من أنك لم تخبرني لكن طريقة حديثك وإهتمامك بها وتلك السعاده التي تشع من عينيك عندما تكونا معا والتوهان وأحلام اليقظه , كل تلك الأشياء تؤكد لي إنك واقع في غرام (ريم) , فكرت قبل اليوم بإخبارك لكنني لم أفقد الأمل وقتها في أن تبادلك مشاعرك وترى حُبك لها , لكن عينيها لاترى سواه , لم يخترق أي منا قلبها كما فعل هو حتى أنت رغم صداقتك القوية معها وقربك منها وقضائكما جميع الأوقات معا لم تتمكن من إحتلال قلبها كما فعل , ما لاتعلمه إنها مغرمة ب(جواد) حد الثماله , وصديقك هو الأخر يبادلها مشاعر دفينة تختبئ خلف نظراته , لكنه يبتعد عنها ويتحاشى التعامل معها خارج إطار العمل لأسباب لم أتمكن من معرفتها بعد يا(وليد) , هل تتذكر تلك اللوحات التي رسم فيها فتاة أحلامه أليست هي نفسها ملامح (ريم)؟ ثمة رابط غريب بين (ريم) و(جواد) أجهل تحديده إن كان حبا أو خلاف ذلك , لكن

ما لامفر منه أن سعادتها معه لأنها تحبه وتعتبرك صديقا , أما هو فقد يترك الشركة إن علم بأمر حبك لها حتى لايقف في طريق سعادتك .

مضت لحظات و(وليد) يصغي إليه بين مُصدق ومُكذب, يتمنى لو كانت مزحة من إحدى مزحات (عامر) لكنها لم تكن كذلك وصمت بعجز وقد تاهت عيناه عبر النافذة لاتريان شيئا.

مايقوله(عامر) حقيقة ماثلة ,لقد رأى بأم عينه وجه(ريم) في كل لوحات(جواد) الأن فقط تذكر ذلك , هاهو القدر يُشهر سيفه الحاد في وجهه بعد مُهلة من الإحساس بالأمان وإقتراب السعادة .

يمارس ضده أساليب ملتويه من الخداع والكذب , بعد أن رمى كل الأحزان الماضيه خلف ظهره برحيل تلك الفتاه التى أحبها بجنون إجتاح كل مابقلبه من عواطف ليزوجها والدها من رجل غني حتى يستفيد من ثروته وأمواله ضاربا عرض الحائط بدموعهما وعذابهما و قصة حبهما الدثمة بالمشاعر الصادقة .

كيف له أن يقف في طريق قلبين بعد تلك المعاناة التي عاشها ومحبوبته ؟

التضحية في الحب

تسائلت (ريم) عن السر وراء مسحة الحزن التي رأتها على وجه (وليد) وهما يخططان معا لقضاء يوم إجازتهما .

طيلة فترة وجودهما في هذا المكان لم تراه حزينا مكسورا كما هو هذه الأيام , ورغم محاولاتها لسبر أغواره وإستنطاقه إلا أنها لم تفهم شيئا من تلك الأحاديث الصامتة التي تسردها عينيه بصمت وهو هائم في عينيها أثناء عملهما معا.

كان لزاما عليها التحدث مع (عامر) للإطمئنان عليه , الصداقه التي بينهما حثتها لفعل ذلك وهي تشكو ل(عامر) بقلق وخوف عن شروده الدائم وتغيره .

طلب منها (عامر) تركهما بمفردهما , ونفذت رغبته وهي تسير نحو الإستراحه وآلاف من الأسئله تزدحم برأسها.

_ (وليد) هل أنت بخير؟

قالها (عامر) وهو ينظر إليه بإعتذار

_ أجل

_ يبدو عليك عكس ذلك , هل من جديد في ذلك الموضوع الذي تحدثنا عنه من قبل ؟

_ أوافقك الرأي , لقد خُلقا لبعضهما البعض , إنهما متشابهان .. في عنادهما وتصميمها على تحقيق أحلامهما , متشابهان في روحهما المرحه وبساطة حياتهما , إنهما متشابهان في كل الأشياء ياصديقي لدرجة أعجز عن تصديقها , كما قلت أنت ثمة رابط غريب يُوثق بينهما بشدة حتى هما لايريانه.

_ أنت و(جواد) من أحب الناس الى قلبي , أدري أن (ريم) فتاة جميلة وطيبة لكن ما أعجز عن فهمه كيف وقعتما أنتما الأثنان في غرامها , لكن والحق يقال لو كنت عازبا لما تركتها لكما ولكنت تزوجتها منذ مدة طويلة.

إبتسم (وليد) وقلبه عاجز عن مجاراة صديقه في الضحك , وهو يقول بإعياء:

_ أسدي لي معروفا يا(عامر), إنتقل الى هنا ودعها تذهب إليه , لايمكنني أن أبني سعادتي على أنقاض قلب صديقي , لن يكون عنادهما أقل من تصميم القدر بجمعهما , ولن أقف أنا في وجه القدر ليفعل بهما مايشاء لكنني لن أكون عقبة في طريق حب (ريم) له .

.....

ما بك ياصديقي؟

رأتها (سوسن) شاردة الذهن على غير عادتها , فجلست قربها متسائلة:

_ (ريم) ؟

نظرت (ريم) إليها وهي تبتسم إبتسامة باهتة :

_ نعم

_ ماذا بك ؟

_ أشعر بالقلق على (وليد) , ليس بخير.. لكنه يرفض إخباري عن سبب إنزعاجه وتوهانه , (وليد) صديقي الذي تعرفت عليه من أول يوم لي هنا ليس هو ما أراه هذه الأيام , هناك شئ يؤلمه لا أعلم ماهو؟! وقد حلت ومضات اليأس والأنين مكان إشعاع الفرح الذي كان دوما في عينيه .

أطلقت (سوسن) آهة عميقة وهي تستند على ظهر مقعدها قائلة :

_ صديقك بارع في إخفاء مشاعره لأقصى درجات التخفي , العلاقة التي تربط بينكما تروقني كثيرا , أنتي الأنثى الوحيدة التي روضت (وليد) بعد أن فشلت عشرات الفتيات في تغييره , أصبح مُطيعا رومانسيا , أصبح شخصا آخر لايمت بصلة لمن نعرفه نحن .

_ أخبروني العُمال أن حبيباته لا يكُفنِ عن إرسال الهدايا له والقدوم لرؤيته , لكنه يُلح على الإنكار كلما ذكرت له ذلك .

_ لابد أن ينفي هذه الأقاويل أمامك لأنه يُحب ..

إقتحمت (ولاء) عليهما خلوتهما وهي تُلقي بحقيبتها على أقرب مقعد قائلة :

_ مرحبا يافتيات , أرغب في النوم لساعة من الزمن لا أريد إزعاجا من أي نوع , يمكنكما إكمال ثرثرتكما الفارغة هذه خارجا .

نظرت الفتاتان إليها بإستياء ظاهر و(ريم) تودع (سوسن) على وعد إكمال حديثهما في وقت لاحق . وخرجت تجرجر قدميها بضيق عائدة الى مكتبها .

دعينا نفترق

في اليوم التالي تفاجأت (ريم) ب(عامر) ينتقل الى مكتبها مُعلنا :

_ (ريم) لدي مشاريع مشتركه مع (وليد) في الأسابيع القادمه , أيمكننا تبادل أماكننا ؟

_ هل تعني أن أذهب الى مكتبك ؟

_ أجل

_ أنت تمزح ؟ كم من المرات قلت أن هذا المكتب لايليق بك لأنك تحب العمل في مكان هادئ , وكما تعلم بابنا هنا مفتوح للجميع وأنا وصديقي هذا نحب الأماكن المزعجة .

_ أنا مضطر لتحمل الجو السائد هنا , إضافة الى أن الهدوء الشديد برفقة (جواد) بات قاتلا , أتعلمين ذلك الرجل يعشق عمله أكثر من عشق (عنتر) ل(عبلة) .

_ هههههههه رأيت ذلك , لهذا السبب هو الأكثر كفاءة بيننا والأول دون منافس .

نظر إليها (وليد) غير مستغرب مدحها ل(جواد) ودفاعها عنه ثم علق :

_ أنتي تُخبريننا بطريقة غير مباشرة أيضا إننا في الخلف دون منافس .

إستدركت معتذرة :

_ من قال ذلك ؟ أنتم الأفضل وأنا أحسد نفسي كمهندسة مبتدئة للعمل بينكم , لم أقابل في حياتي أشخاصا مغرمين بعملهم مثلكم , حتى إنني أصاب باليأس في مرات عديدة من الوصول الى نصف المكان الذي وصلتم إليه .

رد (عامر) :

_ هناك من يقول (حب ماتعمل حتى تعمل ماتحب) وتلك المقولة هي مفتاح تحقيق جميع الأحلام ياعزيزتي .

_ حسنا ياأصدقاء , أتمنى لك إقامة سعيده بموقعنا المتواضع هذا ياباشمهندس (عامر) .

_ أتمنى لك المثل ياباشمنهدس (ريم) بموقعنا الجميل جدا وأخبري (جواد) أن يُحضر لي بقية أشيائي.

_ لك ذلك , (وليد) لاتنساني مع زحمة مشاريعك عليك أن تدعمني ببعض الإزعاج من وقت لآخر في ذلك المكتب الصامت .

ثم ضحكت وقد أومأ(وليد) برأسه موافقا وهو يحمل معها أغراضها كما فعل عند قدومها في بداية أيامها للشركة , لكن هذه المرة الى مكتب صديقه(جواد) .

في طريقهما تسائل بتردد :

_ لماذا لم ترفضي عرض (عامر) ؟ هل مللت العمل برفقتي ؟

_ لم أرفض لأنه إنتقل بالفعل وسيطر على مكاني بالكامل ,(عامر) في مقام أستاذي ولايمكنني رفض طلب له .

_ ألست أستاذك أيضا ؟

توقفت لتنظر إليه بمودة:

_ أنت أروع أستاذ وصديق وأخ يا(وليد) لولاك ماكنت أقف على قدماي حتى هذه اللحظة , أنت الشخص الذي أعاد إلي ثقتي بنفسي وقدراتي , مافعلته لي ياصديقي لن أنساه ماحييت .

_ لم أفعل غير واجبي يا(ريمو) أنتي تستحقين كل خير.

_ دعنا نذهب وإلا ظن العُمال إننا نتغزل ببعضنا

_ ليظن كل فرد مايريد لايعنيني مايقوله الناس , ماذا إن كنت أغازلك بالفعل .. أو كنت أحبك مثلا؟

ضحكت (ريم) بعذوبة وهي تقول :

_ (وليد) أنت تمزح دائما الجميع يعرف أننا أصدقاء مقربين للغاية ولايوجد بيننا أكثر من ذلك .

نظر الى عينيها متسائلا :

_ (ريمو) ألم تفكري يوما في أن مابيننا قد يكون أكبر من الصداقة ؟

إرتعش قلبها وهي تلمح مسحة من الجدية على وجهه :

_ فكرت بالطبع .. نحن أخوين أيضا

ردد (وليد) كلمتها وقد ضاقت عينيه بطريقة أرعبتها :

_ أخوين

_ أجل

_ لنذهب يا(ريم) , لابد أن (عامر) بإنتظاري .

واصلا سيرهما دون أن تنتبه (ريم) أن (وليد) لم يخاطبها بذلك اللقب الذي أطلقه عليها منذ بداية تعارفهما (ريمو) .

جلست(ريم) على كرسي(عامر) بإنتصار وهي تتغافل عن نظرات التساؤل والحيره التي بدت جلية في عيني (جواد) الذي لم يقتنع ألبته بذلك السبب الذي إنتقل لأجله (عامر) من مكتبهما لأنه يعلم طبيعة صديقه التي تعشق الهدوء والسكينه ولاينفك يتذمر من الجو المزدحم لدي (وليد) عندما يُلزم للعمل معه على مشروع ما.

قررت(ريم) أن تعامله كما يرغب هو تماما , معاملة القائد والتابع , فلم يكن بينهما سوى التحيه والأسئلة والأجوبة لدرجة جعلته يشك في طبيعة ذلك الحب الذي قرأه مرارا وتكرارا في عينيها , وهي تتعمد تفاديه وعدم الإنتباه الى أحاديثه في نقاشات كثيره ودون أن تشعر وضعته على هامش حياتها للحد الذي جعل (وليد) و(عامر) يتابعان مايحدث بذهول تام .

هي تحبه وهو يحبها , لكن الحب شئ والعلاقات أشياء أخرى فآخر ماقد تسعى إليه في حياتها هو أن تُجبر أحدا على الإهتمام بها , حتى لو كان هذا الأحد هو من إنتظرته طوال عمرها وأحبته من أول لقاء لهما .

لايمكنها أن تقف أمامه لتقول له بكل بساطه إنه من كانت تبحث عنه , ولايمكنه المثول أمام جبروت أنوثتها معترفا بحبه وهيامه بها .. هو لايعلم حتى كم من السنوات رسمته مخيلتها وتوجته أحلامها فارسا على ظهر حصان .

وإنزوت بعيدا مع رسائلها لذلك البطل الخرافي وأمنياتها الأسطوريه , وتركها وهو يسبح في عالمه بعيدا عنها اليوم تلو الآخر مع ذبول حلمه الذي حدثته نفسه بأنه من المُحال أن يكتمل .

ليست كل الأحلام قابلة للتحقيق , هناك أحلام لايمكننا المحاولة حتى في سبيل تحقيقها لأنها بعيدة ومن المستحيل أن تكون من حقنا يوما .

هناك أحلام تسرقنا وأخرى نسرقها من خلف الحدود اللازمانيه والمكانيه ونتمسك بها بشده حتى تتقطر أيادينا دما لكنها لاتدوم .

منارات الأحلام عالية ومرعبة الى أبعد الحدود , قريبة منا ببريقها وإثارتها وبعيدة عنا حين نوشك للوصول.

حاولا قدر إستطاعتهما ألا يُعكرا صفو هدوئهما ويُزعجا لحظات صمتهما الطويلة وهما مُنكبان على الورق والتصاميم وإتصالات العمل .

الإختيار بين الصداقة والحب

شعور (جواد) بالذنب والأنانية كان يخنقه ورغم سعادته بوجودها قربه , إلا إنه لم ينسى صديقه الذي تغير بعد أن أحبها ولم يعد (وليد) الذي يلهو بقلوب الفتيات ويلعب بمشاعرهن .

بات شخصا مختلفا يؤمن بالحب وقوته بعد أن فقد إيمانه به مع رحيل والدته من الدنيا وزواج الفتاة التى قضى معها أجمل سنوات عمره ليبيع والدها حبهما في آخر الأمر مقابل حفنة من الدنانير.

لم يتوقع أن تتأخذ الأمور هذا المنحنى وينجرف به السيل بعيدا , ليخطف حب صديقه .

إبنة المدير مدهشة ورائعة لكن ليس للحد الذي قد يفرق بينه وبين صديق عمره .

منذ بداية صداقتهم تعاهدوا على الحب والإحترام والإخلاص , تبادلوا عهود الصداقه قبل الزماله وساندوا بعضهم البعض في كل الظروف , لكنها الأن تهدم صرح الصداقه على رؤسهم جميعا وتفتنهم بجمالها الخلاب وبراءتها وعفويتها.

ظهرت مراسم التعب والإعياء جلية على وجهه وهو يجلس قبالة (عامر) في الكافتيريا قائلا:

_ عليك أن تعود الى مكتبك يا(عامر) وإلا سأتركه لها وإن لزم الأمر سأترك لكم الشركة وأذهب, لايمكنكما التآمر علي ولا الإستخفاف بذكائي, أنا لا أحبها لم لاتفهمون ذلك أنت و(وليد)؟ أقسم لك يا(عامر) إن لم تعد خلال هذا الشهر الى مكتبك وتعود هي الى (وليد) سأغادر, أتعجب كيف تفعل به هذا وأنت تعلم إنه تغير من أجلها ,إنها إستطاعت منحه السعاده وإعادة الحياة الى قلبه الذي ينبض بالألم ,أقدر مافعلته ياصديقي لكن (وليد) يحتاجها أكثر مني ,لم يكن من الصواب أن تصغي إليه وتبعدها عنه .

أصابت الحيره (عامر) وهو يرى صديقيه يتألمان أمام عينيه وهو عاجز عن مساعدتهما .

لاحظت (ريم) هروب (جواد) من المكتب عندما تكون موجودة به ومكوثه مع (ولاء) طيلة ذلك الشهر وإحتلال (حيدر) لمكانه .

ولم تهتم لأمر ذلك المغرور الذي إستفزتها نظراته الوقحه لها وضاقت به ذرعا وهو يحاول التقرب منها بحجة صداقة والديهما , فلا وقت لديها لمعجب آخر يظن نفسه (دون جوان) زمانه.

ظل قلبها مشغولا بحبيبها قلقا عليه وخشيت أن تكون هي السبب وراء تركه لمكتبه .

أن تكون نظراتها وتعاملها الرسمي معه قد سببا له نوعا من الضيق والإحراج لذلك رحل دون أن يقول أي كلمة وبات يتحاشاها في كل الأماكن ويتسكع مع رفيقته بعيدا بين أسوار الشركه .

عاش أربعتهم في تلك المرحلة حالة لايحسدون عليها , خلافا ل(حيدر) و(ولاء) اللذان كانت فرحتهما لاتوصف.

قلوب متشردة

قلوب متشردة هائمة بين غابات الحب واللاحب

متناقضه بين الانتماء والمجهول لاتعرف لها وجهة او معالم بارزة في خارطة العالم فهي تخبو حينا وتلوح حينا اخر ..

تحترف فن الانسحاب والتسلل ..

تترك المكان بصمت دون ان تُؤذي او تتأذى ..

بين الوحدة وحب الناس لها حكاوي كثيرة حزينة ومضحكة ..

تتحاشى الغرباء والملامح كثيرة الاقنعة ..

تخشى المجهول لكنها تقتحم الطرق المعتمة المبهمة النهاية فهي ترى بعيون القلب الصادق الذي لم يمارس الخداع يوما ..

قد ترسو على بر أمان وتصنع لها وطنا دافئا وآمنا وقد تقضي كل العمر متسكعة بين الطرقات والاوهام والاحلام وتبقى دوما مشردة ..

أدرك (عامر) أن (جواد) لن يتراجع عن قراره ولم يكن أمامه حل سوى إخبار (ريم) بلم حاجياتها والعوده الى مكانها .

وإحتار(وليد) من ذلك التصرف الذي بدر من (عامر) وهو يُحلل الأحداث وصولا للنتائج التي دفعته لتغيير رأيه بعد أن كان مؤيدا ل(ريم) وقصة حبها .

وافقت (ريم) بصمت وهي تتسائل عن سر تحوله المفاجئ ,بينما إنزاح ذلك الثقل عن كاهل (جواد) وهو يراها تبدأ بحزم أشيائها إستعدادا للرحيل , وعاد لمواصلة عمله وقلبه يدعو أن يجتمع (وليد) و(ريم) في أقرب وقت وتتوج قصة حبهما بالنجاح.

في غمرة هذه المعركة الصامتة أخبرهم (وليد) بإنه سيتزوج الإسبوع المقبل من إبنة عمه وكانت مفاجأة لهم جميعا .

عمت الأفراح شركة (النجمة الهندسية) ومنزل (وليد) بقرار زواجه من إبنة عمه , وأفصحت (ريم) صديقته المقربة عن رغبتها في وضع الحناء بنفسها لصديقها .

بدأت مراسم العرس وساهمت (ريم) و(سوسن) مع قريبات (وليد) وزوجة والده في النظافة والترتيب والنظام .

أمسكت(سوسن) ب(الدلوكة) ووضعت(ريم) (صحن الحنة) أمام(وليد) الذي مد يديه إستعدادا ل(طقوس الحنة).

لم يقل(جواد) الجالس قربه شيئا وهو يرمقها بصمت.

في كل مرة تلمس فيها يد(وليد) لتنقش عليها(الحنة) يشعر بقلبه يحترق والنيران تتآكل بأعماقه .

ضحكوا جميعا ل(عامر) وهو يقلد غناء(سوسن) وإلتفت (وليد) نحو(جواد) .. صدمته رؤية الغيرة الملتهبة في عينيه وهو يتابع تحركات(ريم) وشعر بالحرج لأنه لم يحترم مشاعر صديقة وبحث عن طريقة يُقنع بها (ريم) لتترك ماتفعله.

_ (ريمو) .

_ ألايمكنك أن تصمت يا(وليد) أنت تشوشني , أنا لست مسئولة إن تسببت في تشويه (الحنة)

سحب(وليد) يديه نحوه مبتعدا وهو يقول:

_ لقد تعبت من حركتك البطيئة , لايمكنني التحمل أكثر يداي تؤلمانني , دعي(سوسن) تُكمل ماتبقى إذهبي وتعلمي وضع الحنه على يدي(جواد) أنا عريس ولن أسمح لك بشخبطة حنتي .

_ (وليد) أعطني يدك , هذا ليس وقتا مناسبا للمزاح

_ أنا لا امزح يا(ريمو) أنتي بطيئة للغايه وأنا تعبت

ضحك الحاضرون وهي تنفض يدها عن صحن الحنة قائلة بطريقة هزلية وهي تضحك :

_ دع(سوسن) تنفعك , أنا أيضا تعبت منك ومن تعليقاتك .

أوقفها قبل أن تبتعد قائلا من بين أصوات الضحكات :

_ تعالي , أين تذهبين , (سوسن) لن تضع الحنة لأحد سواي , مازال بإنتظارك(عامر)و (جواد)و (حيدر) وزراء العريس .

إستسلمت(ريم) وهي تأخذ نفسا عميقا قائلة بتكاسل:

_ ياإلهي , النظافة وغسل الآواني أهون من وضع الحناء لمهندسي شركة (النجمة) .

تقدم(حيدر) وهو يمد يده قائلا:

_ أنا الأول .

سحبت مقعدا قصيرا وهي تبدأ ب(حيدر) ثم (عامر) ووجدت صعوبة بالغة في نقش الحنة ل(جواد) ويديها ترتجف بطريقة عجزت عن السيطرة عليها وهو يطوقها بنظراته التي عرقلت عليها المهمة الى حد بعيد.

إنتهت(ريم) من برنامج الحنة وتوجهت نحو المطبخ لتلبية نداء عمة(وليد) التي أرسلت تطلبها لتشاركها في تجهيز العصائر للحفل .

إستوقفتها(ولاء) التي قدمت للتو وهي تنظر إليها قائلة بشماتة:

_ هذه أول مرة أقابل فيها فتاة تحضر عرس حبيبها وترسم له الحنة بنفسها .

_ ماذا تعنين؟

_ أعني أن تكُفي عن التمثيل وإدعاء البراءة , كلنا نعلم إنك كنت آخر حبيباته ونزواته لماذا لم يتزوجك؟ هل تساهلت معه ومنحته كل مايريد لذلك تخلى عنك ليتزوج من أخرى شريفة ؟

غيبت الدموع عيون (ريم) وهي تتركها مهرولة الى الحمام لاترى ماحولها من فرط ماشعرت به من إهانة في تلك اللحظة , في طريقها إصطدمت بأحدهم لكنها لم تلتفت لتنظر إليه لأن حزنها كان أكبر ودموعها كانت قد إنحدرت على خديها بألم .

في الحمام أغلقت عليها الباب وإنفجرت في البكاء بحرقة , بعد أن هدأت قامت بغسل وجهها الشاحب وهي تنظر إليه في المرآة .. كانت عيناها متورمتان بشدة فحاولت مسح آثار الدموع التي رفضت أن تجف.

عند خروجها رأت(جواد) يستند على الحائط وهو ينظر ناحية الحمام بحيرة .. توجه إليها فور خروجها وهو يقف أمامها متسائلا بقلق :

_ (ريما) هل أنتي بخير ؟

رفعت عينيها إليه مستغربة ذلك الإسم الذي أطلقه عليها للتو .. عينيه فيهما نفس النظرة والكلام العميق الذي لم تفهمه أبدا .. وهزت رأسها بصمت إشارة على إنها بخير وهي تحاول الإبتعاد عنه لكنه إعترض طريقها مرددا بقلق :

_ هل أنتي بخير؟ ماهذا الشحوب .. هل كنت تبكين؟

لم تنظر إليه لكنها قالت وهي تتصنع الإبتسام :

_ أنا بخير ياباشمهندس .. مجرد صداع ..

نظر إليها برهة ليتأكد من صحة أقوالها ثم قادها الى أحد الغرف وأجلسها على الكرسي وهو يقول بحزم:

_ إبقي هنا لن أغيب طويلا ..

وخرج مسرعا وتركها تتأمل الأرض بذهول تراجع كل كلمة قالتها (ولاء) ..

تنهدت وهي تمسح دمعة ساخنة تسللت الى خدها وخرجت متوجهة الى غرفة العروس التي تعرفت عليها منذ بضعة أيام عند ذهابها مع(سوسن) لإستقبالها في موقف البصات القادمة من القرية .

جلست قربها مع بقية صديقاتها وهن يسألنها عن كيفية تعرفها على العريس وهي تسرد لهن كل التفاصيل بدقة والفرحة تغطي ملامح وجهها .

فُتح باب الغرفة وسمعت خطوات واسعة نظرت نحو صاحبها .. ضاقت عينيه بعتاب ممتزج بالراحة عند رؤيته لها وكأنه كان يبحث عنها , ثم وضع علبة أدوية على الطاولة قائلا :

_ هذه حبوب للصداع .. إذا إحتاجت أي منكن إليها .

وخرج مثلما دخل وهو يرمقها بتلك النظرة القلقة , ضحكت العروس وصديقاتها وعلقت إحداهن :

_ حبوب صداع .. من هذا الغبي؟ كنت أخاله أحضر لنا حلوى .. من يحتاج الى أدوية في يوم كهذا؟

وضحكن على تعليقها وهن ينصرفن الى أشغالهن , مدت(ريم) يدها لتأخذ حبة من علبة الأدوية رمتها في جوفها وهي تسكب لنفسها كوب ماء تجرعه بعدها .. وهي تقول في نفسها:

_ إذا لقد أرهق نفسه بإحضار الدواء لي .. ربما يجب علي أن أتذكر في وقت لاحق أن أشكره على هذا الكرم الحاتمي منه .

في الحفل جلست(ريم) قرب (سوسن) .. كانت تختلس النظر إليه من بعيد وهو يذهب ويجئ في الساحة مع أصدقاءه ..

يومها كان كأروع رجل عرفته على ظهر هذه الأرض ممتلئ بشموخ وكبرياء وقوة لم تر مثلها في حياتها , حتى في أبسط أشياءه .. في ضحكه .. في مزاحه مع أصدقائه .. في حركاته البسيطة .. رجل بألف رجل .

لمحت نظراته إليها من مكانها ذاك عدة مرات .. تارة نظرة حب .. وأخرى عتاب .. وثالثة ساهية شاردة تحمل معها الكثير من الكلمات الصامتة واللغة المبهمة التي لايفهمها سوى قلبها ويعجز عقلها عن ترجمتها .

طيلة أيام العرس كان(حيدر) يطاردها أينما ذهبت .. وأصر على أن تراقصه في الحفل وبعد إلحاح نهضت للرقص معه .. كانا يتحدثان أكثر مما يرقصان .. فهي تعلم إنه معجب بها لكن عينيها تبحث عن شخص آخر ولمحته .. لمحت تقطيبة جبينه وإشتعال نار الغيرة والغضب في عينيه .

رن جرس هاتف رفيقها .. فنظر الى المكالمة وعينيه تجول بين الحضور حتى وقعت على(جواد) .. وناداه .

لم تستطع النظر إليه وهو قادم بإتجاههما لكنها تخيلت مشيته وخطواته البطيئة المتثاقلة نحوهما ..

_ (جواد) .. إبق مع (ريم) لدي مكالمة مهمة من الخارج .

وقعت كلماته على كليهما وقع الصاعقة .. (جواد)و(ريم) يرقصان معا ..

كان يمسك كوب العصير بكلتي يديه ولاحظته (ريم) يضغط عليه بشده حتى كاد أن ينكسر بين أنامله القوية وإنسحب (حيدر) دون إضافة كلمة ووقف (جواد) جامدا في مكانه ينظر إليها ثم أخذ يتمايل مع أنغام الموسيقى عندما أدرك إنها تنتظره .

رأت علامات التعب والسهر تغفو تحت عينيه فإقترحت:

_ إن كنت متعبا بإمكانك الجلوس ..

تلفت يمنة ويسرة وكأنه يبحث عن شئ وهو يرد عليها بصوت رغم قوته خرج مهتزا :

_ في الواقع أنا مُتعب فعلا .. لكن ما أحتاجه هو الإبتعاد عن هذا الضجيج لنخرج قليلا ..

قال ذلك وهو يضع كوبه على أقرب طاولة ويسيران متجاورين الى حديقة المنزل.

جلسا على أريكة طويلة وسط الأشجار والهدوء وضوء القمر لايعكر صفو هدوءهما سوى الصوت البعيد للموسيقى القادم من الداخل .

جلس بإسترخاء وهو يمد ساقيه الطويلتين أمامه ويعقد يديه خلف رأسه ليستند عليهما .. وجلست(ريم) صامتة على مسافة منه تخشى تعكير عالمه الصامت الذي ينسى دوما وجودها .

إخترق جدار الصمت قائلا :

_ لماذا تتعاملين معي بهذه الطريقة ؟

_ أي طريقة ؟

أحست صوته عميقا دافئا وهو يقول :

_ طريقة التهميش واللامبالاة , هل تغيرتي حقا أم أنني لم أكن أعرفك .

_ لاشئ من هذا القبيل .. أنت تتوهم .

_ كان بإمكانك إنتظاري حتى أحضر لك الدواء , قلقت عليك كثيرا وأنا أبحث عنك في كل مكان , ماالذي أبكاك ؟ لأن (وليد) سيتزوج؟

تذكرت كلمات(ولاء) وهي تُشيحها جانبا محاولة إيجاد جواب ترد به عليه , وجاء الرد بمفرده ليدعم قدرتها على نسيان إساءة (ولاء) لها وتبريرها سبب بكائها :

_ أجل بكيت لذلك السبب , (وليد) صديقي وأقرب شخص إلي وسأفتقده بعد زواجه لأن صداقتنا لن تعود كالسابق .

_ يمكنك إعتباري صديقك أيضا , أعدك أن أكون صديقا جيدا , جربيني ولن تخسري ؟

_ لي الشرف بصداقتك , أنت أستاذي ويسعدني أن تكون صديقا لي .

_ إتفقنا إذا .

_ أجل إتفقنا .. لنذهب , (وليد) سيشعر بالضيق إن لم يجدنا حوله .

_ هيا بنا .

حب يختبئ في ثوب صداقة

إنتهى العرس وعاد الجميع الى العمل بعد مغادرة (وليد) لشهر العسل وقلوبهم تتمنى له السعادة .

كسبت(ريم) الكثير من الأصدقاء في تلك المناسبة السعيدة ومن هؤلاء الأصدقاء شقيقات (جواد) اللواتي أحببنها وطلبن منها إعتبارهن شقيقات لها عند علمهن إنها وحيدة والديها .

لم تتوقف علاقتها بهن عند ذلك القدر بل كانتا تحضران الى منزل(ريم) في أغلب الأمسيات لمؤانسة وحدتها فيدخلن برفقتها المطبخ ويساعدنها في أعمالها المنزلية مما أدخل السرور الى قلب والدتها وجعلها تمنح (ريم) حق الذهاب إليهن في أي وقت .

تحسنت علاقة(ريم) و(جواد) بعد تقارب العائلتين من بعضهما وتبادل الزيارات بينهما , إضافة الى عملهما في مكتب واحد طوال اليوم .

مابينهما كان أكبر من الصداقة التي يدعيانها أمام الناس قلوبهما وعيناهما كانت تُفصح عن إرتباط أعمق من الصداقة لكن عنادهما وتلك الفوضى التي عاشها كلاهما في فترة سابقة جمدت الحب على الشفاة وهدأت حرارة الإشتياق لبعض الوقت إحتراما لعهود الصداقة التي لاحت على الأفق لتجمع بين فؤادين متيمين .

غريب هو الحب ..

معادلة تحمل البساطة والتعقيد , التساهل والكبرياء .

في الحب نرضى بأي مسميات قد تجمعنا مع من نحب يكفينا أن نكون معه كما يريد لنا القدر أن نكون ..

لم يكن من السهل عليهما ألا يضعا إسما لتلك العلاقة التى تربط بينهما .. علاقة أساسها بائع ومشتري .. أستاذ وطالبة .. متدربة ومهندس .. ثم زمالة وصداقة.

باغتهما الزمن بعواصف من البعثرة والتناقضات .. لم يمنحهما متسع من الوقت ليفكرا أي تلك العلاقات هما وما الفوارق التي تفصل بينهما .

لعب الحب لعبته في لمح البصر وكسر الأجنحة المشرعة وأخمد رماد الحدود والفواصل وصهر الكبرياء .. لم يعد باليد حيلة أمام إختيارات القدر سوى الإنصياع .

لكن هل سيقف الحب مكتوف اليدين أمام صداقة من سراب ووهم؟

هل ستخمد تلك الشرارة التي إشتعلت في قلوب نظيفة حاربت الحب بكل ماتملك من جبروت وقوة ؟

قلوب لم تسمح للحب أن يعبر بذلك الدرب الذي رسمته بإتقان وغرور ورفعت كل الشعارات القاتلة في وجهه وداسته تحت قدميها .. هل سيحيا الحب يوما ليأخذ بثأره من قلبين لم يعترفا بوجوده بين خارطة المشاعر الإنسانية ؟

يقتربان من بعضهما خلسة

نقب (جواد) بين الرسومات والأدراج باحثا عن قلم وعندما باءت كل محاولاته بالفشل توجه الى الدرج الخاص ب(ريم) الذي تضع فيه أقلامها , من حسن حظه إنها نسيت إغلاقه اليوم بعد خروجها من الإجتماع الذي إمتد لساعات طوال غادر بعده أغلب المهندسين الى منازلهم .

تناول القلم وأمسك بمقبض الدرج ليغلقه عندما لفت إنتباهه وجود دفتر مذكرات وردي اللون تحتل صورة بطل الكرتون(ميكي) الجزء الأكبر من غلافه , قاوم فضوله لكن يده لم تطاوعه وهي تمتد لسحب الدفتر وفتحه .

أول صفحاتة لم تكن خالية كما توقع بل كانت مقدمة لروايه جذبت تركيزه وهو يمر بعينيه على كلماتها .

مد(جواد) يده الأخرى لإغلاق الدرج , وهو يعود الى مقعده والدفتر بيده محور إهتمامه ليقلب بين صفحاته ويعيش معها في عالم لم يدخله من قبل.

ووجد نفسه مندمجا مع ماخطته أناملها على ذلك الدفتر الوردي .

إنتبه (جواد) للشمس التي غابت دون أن يحس بها , وتعجب كيف إنغمس في القراءة ولم يلاحظ مرور الوقت ؟

عند إعادته للدفتر وقعت عينيه على (ألبوم صور) ..

أول صورة به تزينت بصورة تخرجها من الجامعة .. وجد (جواد) نفسه يبتسم بحب وهو يقلب الألبوم الذي ضم صور(ريم) في جميع مراحل حياتها من الطفولة وحتى التخرج .

توقف عند صورة له يبدو أن (ريم) إلتقطتها على غفلة منه في محاضرته لهم بالجامعة .. وكانت الصورة الوحيده الدخيلة بألبوم صورها .

ضم الألبوم الى صدره مفكرا :

ماذا تفعل صورته بين صورها ؟ ومتى إلتقطت له هذه الصوره وعينيه لم تنزاح عنها طوال المحاضرة ؟ لماذا لم تضع صورة والديها أو أي أحد آخر مع صورها إلا هو ؟ هل تحبه ؟ هل تشعر بذلك الحب الذي يحمله لها قلبه ؟ هل لاحظت نظراته في المرسم ذلك اليوم ؟ لماذا تتحاشاه وتتعامل معه بهامشية ثم يجد صورته في ألبومها ؟

كثيرا ما سألتها عينيه وهي تبحث عن الحب بين نظراتها فتهربت منه ؟ هي تعلم إنه مغرم بها فلماذا تبتعد عنه ؟ لماذا تضع بينهما الحدود وترفض هذا الحب ؟

عليك أن تنسى أمرها يا(جواد) .. (ريم) لن تحبك المسافة التي تفصل بينكما شاسعة وعميقة .. (ريم) بعيدة عنك كبُعد القمر عن الأرض .. هي إبنة رجل غني وستظن إنك تحبها من أجل الثروة .. لن تفهم حبك لن تفهم أن قلبك تشرب حبها قبل أن تعرف من هي وإبنة من؟ (ريم) فتاة مدللة ولن تناضل معك في طريقك الطويل يا(جواد) عليك أن تعمل لتعالج والدك من مرض القلب وتتحمل مسئولية تعليم إخوانك وتوفير كل مايحتاجه منزلك لن تقبل السير معك في هذا الطريق الطويل .. لن تقبل ..

مد يده يتحسس صورة لها وهو يناجيها :

أحبك كثيرا .. ليتني لو أستطيع قولها لك .. أنا وأنتي لاشئ يجمع بيننا وكل شئ يجمع بيننا .. أنا أبن الحي العادي الفقير المعدم الذي يكافح لإطعام أسرته .. وأنتي إبنة الثروة والمال والرفاهية , لايمكنني أن أحلم حتى بالإرتباط بك .. أي علاقة بك تهدد مستقبلي ومستقبل عائلتي يا(ريم) لقد برمجت حياتي بعيدا عن الحب .. أردت أن أعمل واجمع أكبر قدر من المال ثم أتزوج بأي فتاة .. لكنك ألغيتي كل خططي .. أهلي بحاجة لي يا(ريم) أكثر من حاجتي للحب .

خلاف ..

_ (ريم) لم تخبريني من قبل إنك تكتبين ؟

_ أكتب ماذا؟

نهض من مكانه ليضع الدفتروالإلبوم أمامها قائلا وسط الدهشه التى علت وجهها :

_ أعتذر لتطفلي , كنت أبحث عن قلم في درجك وقادني الفضول الى إكتشاف كاتبه .

_ لا أحب أن يتجسس أي أحد على خصوصياتي

أخذتهما بقلب مضطرب وهي تدعو من كل قلبها ألا يكون(جواد) قد فتح الإلبوم أو علم بشأن تلك الصورة التي أخذتها له بكاميرا الهاتف في المرسم ثم حولتها فيما بعد الى كرت خبئته بين صورها مثل كنز أو سر دفين لاتطاله الأيدي .

وضعتهما على الدرج وحملت الجريدة بين يديها قائلة :

_ أنت تهول الأمور , هي مجرد كلمات أشغل بها وقت فراغي .

قال بإهتمام :

_ لكنها قصة مسليه ورائعه عليك إكمالها , أنا أتحرق شوقا لمعرفة نهايتها , أنتي مشروع كاتب ناجح .

أزاحت الجريده جانبا وهي تؤكد له :

_ أنا لست كاتبة كما قلت آنفا , وأؤكد لك إنني لا أنوى كتابة نهاية هذه القصة , لا أدري كيف نسيتها هنا؟

_ ربما ليخبرك القدر إنه آن الأوان لترى كتاباتك النور, أنا كقارئ أمنحك نسبة 90% , أنتي تكتبين بعفوية وجرأة .

_ شكراً , أقدر لك رأيك هذا لكن ماتتحدث عنه لايتعدى كونه هواية وأنا أطلب منك نسيان ماقرأته وعدم ذكره , لو رغبت في أن أصبح كاتبه لما إنتظرت أن تخبرني أنت بهذا .

قالت ذلك وهي تغلق الدرج وتضع المفتاح في حقيبتها وتترك له المكتب , فلم ترغب يوما في أن يتعدى أحدهم على خصوصياتها حتى لو كان ذلك الأحد هو (جواد) .

إعتراف

في أحد الأيام قام والدها بدعوة فريقه الهندسي المفضل على العشاء بمنزله لمناقشة بعض الآراء حول العمل الذي تم إنجازه مؤخرا.

حاولت العودة باكرا لمساعدة أمها في أعمال المطبخ وترتيب المنزل الذي بدأت بنظافته صباح اليوم قبل ذهابها ولم يتبقى منه سوى الجزء المُخصص للضيوف في الجانب الآخر من الغُرف حيث سيستقبلون به مهندسي الشركة.

بعد إنتهائها من التجهيزات توقفت أمام خزانة ملابسها تبحث عن ثوب جميل ترتديه في أول إجتماع عمل لها خارج أسوار الشركة ..

وقع بصرها على فستان قطني مشجر كانت (لينا) قد بعثته لها من فرنسا قبل سنة .. فإختارته مع حذائه الأحمر المريح الذي يطابق لون ورداته المتناثرة على أرضيته .

تأكدت من إكتمال ترتيبات المكان بعد أن وضعت كل ماقد يحتاجونه من ماء ومشروبات طبيعية وغازية وحلويات على الطاولات المتوزعة بترتيب في المكان , ثم وقفت قرب والدها عند الباب لإستقبالهم .

بدا (جواد) أنيقا جدا في بدلته البيضاء وقميصه الأسود بأكمامه التي تسللت خارج أيادي البدلة بتناسق لطيف يتفق مع (النظارة) ذات العدسات الشفافة التي إستقرت بين أزراره الناصعة البياض , وسرواله ذو اللون نفسه .

جلس بجانب صديقته الحسناء (ولاء) , بينما حاولت (ريم) التخلص من نظراته التي بدت كحبل يربطها طوال السهرة وأبعدت وجهها عنه رافضة الإعتراف بأنها تشعر بالغيرة .

بدا مختلفا بتلك الإبتسامة الساحرة التي لم تفارق شفتيه كل الوقت .. حتي حديثه معها ونظراته لها تبدو مختلفة وهو يخبرها همسا بأذنها عندما إنحنت لتُقدم له كوب العصير:

_ تبدين اليوم رائعة الجمال وذات جاذبية خلابة يا(ريم).

وأضاف وهو يرى الذهول يتملكها:

_ إحذري ياجميلتي أن تسكبي العصيرعلي ..

وأخذ منها الكوب وهو يبتسم وكأنه لم يقل شيئا.

طوال الوقت كانت تنظر إليه بدهشة وإستغراب بين مصدق ومكذب فمن تراه اليوم يختلف كثيرا عن (جواد) الصارم القاسي الذي تعرفه.

عينيه تحمل حبا عميقا لم تراه من قبل , ضحكاته لها وحديثه الناعم أصاباها بكثير من الإرتباك.

إنه يحبها .. يحبها كثيرا .. أدركت ذلك في تلك الليلة.

قبل ذهابه طلب منها إحضار ورقة وقلم , كتب عليها شيئا ثم مدها لها قائلا:

_ هذه جميع حساباتي في مواقع التواصل الإجتماعي يسعدني بلاشك التواصل مع أجمل فتاة بالعالم .

ثم أضاف مبتسما وهو ينهي حديثه :

_ أراك غدا ..حاولي أن تنامي باكرا ..لدينا عمل في الغد .. لاتفكري بي كثيرا .

إتصل بها بعد مضي ساعة على مغادرته .. جاءها صوته على الجانب الآخر مرتبكا .. وفي غمرة حديثهما العادي سمعت تنهده على سماعة الهاتف ثم همس بعدها :

_ ريما ..

_ نعم ؟

_ أنا أحبك ..

من هول المفاجأة لم تعرف كيف ترد عليه .

_ أنا أحبك .. كلمة ترددت كثيرا في قولها لكي .. لكن لأن اليوم كان مميزاً بالنسبة لي فكرت في مصارحتك بحبي .. أقسم بأنني أحبك كثيرا ومنذ وقت بعيد .. و

وأنهت المكالمة ثم أطفأت الهاتف ووضعته على حجرها وهي تتأمله بذهول .

متورطان في العشق

بعد تلك الليلة تطورت علاقتهما .. كانا يعملان معا طوال الوقت بإنسجام تام دون تعب .. ثم يُحللان معا عبر الهاتف آخر كل ليلة ماتعلمته (ريم) في يوم العمل الذي مضى ..

أحب (جواد) رغبتها في التعلم والمعرفة والتطور فلم يكن يبخل عليها بشئ .. وسعد والدها كثيرا لرؤية إبنته وهي تصعد سلم النجاح درجة تلو الأخرى و(جواد) يساعدها ويساندها في كل خطوة .

لم يترك لها مجالا لترفض حبه .. ملأها بالعشق حد الإكتفاء دون أن تطلب .. وشعرت بأنها أنثى تحتاجه في كل وقت وإكتمل عشقهما الأبدي .

جلس كل منهما على مكتبه وهما يضعان أكواب القهوة على الطاولات أمامهما :

_ العمل خفيف اليوم .

قالتها (ريم) بسعادة وهي تسترخي على ظهر مقعدها ووافقها (جواد) بقوله:

_ أجل .

_ هل ستذهب الى المنزل ؟

_ لاأظن ذلك ..ماذا لديك من خطط لليوم؟

_ لاشئ؟

_ إذا هل تقبلين دعوتي للغداء بمنزلنا المتواضع..؟

نظراته أوحت بعزم وتصميم شديدين لايمكن مقاومتهما فقالت بعد فترة من الصمت:

_ أقبل بكل تأكيد .

إبتسم بسعادة وهو يتناول هاتفه من الطاولة ويتصل بالمنزل .. ثم بعد برهة قال:

_ أمي الحبيبه .. كيف حالك .. بعد قليل سنحضر لنتناول معكم الغداء أنا و(ريم) .

_ ياللخيانه ..نحن ذاهبان معكما .

قالها (وليد) وهو يظهر من خلف الباب يليه (حيدر)

فأضاف (جواد) والإبتسامه لا تفارق ثغره :

_ أمي سنأتي جميعا .. الى اللقاء .

وأغلق الهاتف وهو يستمع بتسلية الى تعليقات المداعبة الصادرة من (حيدر) و(وليد) بشأن إصطحاب (ريم) للغداء.. بالرغم من علمهما بأن منزله مفتوح للجميع وطيلة الوقت ..

.....

رسائل الحب

" حبيبي

كم انا سعيدة بك ياحلم عمري ..

كم من الوقت إنتظرتك لتبادلني ذلك الحب ,سنوات طوال لايمكنني عدها ..

كنت اشعر بذاك الشئ بيننا منذ وقت طويل جدا..

في بعض الاوقات كنت أدرك إنك تحبني وفي اوقات اخرى ادرك بإنني احبك ..

يوم أحببتك لم أكن أعرف للحب مرفأ ..

مشاعر مبعثرة وأحاسيس غريبة تجتاحني كلما إلتقيت بك أو فارقتك ..

أنت رجل عميق عرفت جيدا كيف تجعلني أهيم عشقا بك حد الهوس والجنون ..

رجل بتفاصيل حلمي وبطل أحلامي الروائي الذي طالما راود مخيلتي في الصحوة والاحلام ..

لا بل أنت أجمل وأعمق كثيرا من تلك الأحلام لأنك دخلت بقلبها عنوة وحولتها الى واقع ..

ماالذي يمكنني قوله الأن وقد إختصرت أنت كل الكلمات والأحلام والأمنيات .. أحبك للأبد ..

حبيبتك ريم "

سبحت مشاعره بين كلمات الرسالة التي وضعتها(ريم) في درج مكتبه هذا الصباح متغاضيا عن النقاش الدائر بينها وبين(حيدر)و(وليد) اللذان يقضيان معظم أوقات فراغهما معهما .

موضوع النقاش كان عن الحب والحريات وإختلفت الأراء حول الحب من شخص لآخر وخرجت (ريم) ساخطة من ذلك النقاش وهي تطردهما خارجا وسط ضحكاتهما وتشددهما على آرائهما وأغلقت الباب خلفهما وهي تجلس على مقعدها ..

إنفجر (جواد) ضاحكا وهو يضع الرساله داخل حقيبة اللابتوب ويؤكد ل(ريم):

_ ألم أحذرك من مناقشة (وليد) و(حيدر) ياحبيبتي , هذان الأثنان يحملان بعقليهما أفكارا متطرفة وحادة .. علاقتهما غير متصالحة مع نفسيهما والمجتمع .. أفكارهما خليط من علاقات فاشلة وإنكسارات وأشياء أخرى طالما أخبرتهما أن بوسعهما التعلم منها إيجابيا ودفن السلبي منها لكنهما يفعلان العكس دوما .. فيقومان بدفن الجانب الإيجابي من الحياة ويعيشان في الجانب السلبي منها ..

تنهدت (ريم) وهي تشعر بالإرهاق بعد المجهود الذي بذلته في الحوار قبل قليل .. ثم إسترخت على مقعدها وهي تنظر الى (جواد) قائلة :

_ الرجوله ليست بالصوت العالي والعنف وفرض الأوامر , الرجولة هي الإحتواء للأنثى التي تحب أن تشعر قربك بالأمان والثقة والإستقرار ..كيف ستحبك إن كنت تفرض عليها جميع قراراتك دون حتى مناقشتها والإعتراف برأيها ودورها كنصف المجتمع كيف ستحبك ان كنت تعاملها كهاتفك الذي تملكه وتتحكم في كل حياتها ,الانثى لاتحتاج الى أموال الرجل ولا الى عقله يمكنها العمل أيضا وكسب النقود يمكنها التفكير جيدا وقيادة المجتمع بأفضل الطرق , تستطيع منح الرجل السعاده أو التعاسه حسب إختياره وتقديره لها فهي ليست كما يتوقع (حيدر) جارية يشتريها بماله ولا جاهلة ليدير حياتها بعقله كما يعتقد (وليد) فتلك الفتاة التي ستحب هذين إما أن يقتلا حبهما بقلبها أو يتحول مابينهما الى مجرد صفقه مستمره .

رد عليها (جواد):

_ صدقت , ولأني أعرفهما حق المعرفه لم أرغب في خوض نقاشكم من بدايته ,الحب لايعني أن نفرض شروطا ونضع حدودا لمن نحب ,لايعني تكبيل حرياتنا وسلب حقوقنا في الحياه ,لايعني حبي لك أن أفرض عليك إرتداء ثيابا على مزاجي ومنعك من أشياء تحبينها دون إعتبار مايريده قلبك , الحب عالمنا الذي جمعنا معا ولايحق لي سلب حريتك وإلغاء شخصيتك وآرائك لأجل أنانيتي حتما ستكرهينني إن فعلت ذلك , الأنثى التى أحبها أنا ستفعل مايرغب به قلبها , لها مطلق الحريه في عيش حياتها بالطريقه التي تحلم بها وكرجل يحبها علي أن أدعمها وأساندها وأحميها لا أن ألغي وجودها , قصص حب كثيره ماتت بسبب أنانية الرجال ,تحول العاشق منهم الى مسئول يفرض سلطته على حبيبته دون نقاش او حوار ويلزمها بتطبيق قوانينه دون

أن يعلم أنه بذلك يقضي على كل ذرة حب وإحترام له بداخلها ثم يتسائل لاحقا لماذا تغيرت ولم تعد تحبه كالسابق ؟

نظرت إليه بحب وهيام وهو يتحدث وعيناهما تسافر الى أبعد وأوسع من حدود ذلك المكتب الذي يضمهما..

دوما كانت على يقين بأنها أحبت رجلا نادرا وفريد ..

نذرت قلبي لك

في جلسة صفاء وهدوء ضمتهما في أحد الأيام بمكتبهما بعد إنتهاء يوم عمل شاق سألته عن أكثر تلك الأشياء التي يحبها وتلك التي يكرهها , رد بعفوية وجمال عينيها يسحبه الى الغرق كلما غاص فيهما:

_ الصدق , أنا أكره الكاذبين والمنافقين , ماذا عنك ؟

_ أنا أكره أن يخون أحد ثقتي به ويلهو بمشاعري يمكنني إحتمال الكذب والمنافقين لكن لايمكنني تحمل خيانة أشخاص وثقت بهم .

_ ثقي بي مهما حدث لأنني لن أخذلك يوما , جربي أن تمنحيني كامل ثقتك وحبك ولن تندمين لأنني أحبك فوق كل حدود الحب الممكنة والمستحيلة ولن أفكر يوما ولو بيني وبين نفسي أن أتركك أو أؤذيك صدقيني , سأحبك دوما .. وليشهد الله أني قد نذرت قلبي لك وهو ملكك ماحييت ولن ينبض لأنثى غيرك .

إبتسمت بحنو قائلة:

_ إنتبه ياحبيبي هذا نذر , أيمكنك الوفاء به ؟

شعت عينيه بإيمان وثقة غيرمتناهية بحبه وهو يقول:

_ أجل .. يمكنني .. وسأقولها ألف مرة لو أردت ياحبيبتي أشهد الله أني قد نذرت قلبي لك وكل عمري .

_ لن أكون أقل عطاء منك وجودا وأنا أشهد الله في مجلسنا هذا إني قد نذرت قلبي وروحي ودمي وسعادتي لأجل حبك وسعادتك ,أنت حبيبي لاحب قبلك ولا بعدك.

_ وأنتي تلك الأنفاس التي أعيش عليها والروح والقلب والحياة , بعدك لاحياة لي ، (ريما) إذا حدث وأخطأت في حقك , هل ستغفرين لي مهما كان حجم هذا الخطأ؟

_ كل هذا الحب الذي غمرتني به سيشفع لك مهما إرتكبت من أخطاء .

_ تلك الأخطاء كانت في الماضي , أقسم لك إنني أحبك جدا لاتصدقي أي قول خلاف هذا , قد يخبرك البعض عن أشياء لم يكن لي حق الإختيار فيها , جميعنا نُخطئ أليس كذلك ؟

_ ماالذي تحاول قوله لي ياحبيبي أشعر بأنك متردد بعض الشئ والكلمات تتعثر على شفتيك ؟

_ ما أحاول قوله إني لم أشعر بالضعف أمام أنثى مثلما أشعر بالضعف أمامك .

_ لكنك قوي أمام الجميع , لاضير في أن تصبح ضعيفا أمام من تحب يا(جواد)

_ أنتي تثقين بحبي ؟

_ أجل , لا أثق برجل مثلما أثق بك .

_ مهما حدث ؟

_ مهما حدث ياحبيبي ..

مكالمات هاتفية

_ آلو

_ آلو

_ كيف حالك؟

_ بخير وأنت؟

_ الحمدلله

_ ماذا لديك لليوم؟

_ سنذهب في رحلة أنا و(حيدر) وبعض الأصدقاء المكوث في البيت ممل للغايه .

_ هههههه أنت لاتعني ذلك ؟

_ بل أعنيه .

_ كن على علم عندما نتزوج لن تخرج ولا خطوة واحده من دوني وستظل معي بالبيت طيلة الوقت .

_ هههههههه ياإلهي أي عقاب هذا ؟

_ (جواد) ..

_ حسنا حسنا, أعدك بذلك حبيبتي , ماذا تفعلين أنتي؟

_ أنهيت الأعمال المنزلية وأقوم الأن بتسريح شعري.

_ إشتقت إليك , قومي بإرسال صورة لي .

_ حسنا .. إعتني بنفسك .

_ وأنتي أيضا حبيبتي .

أنت واقعي

_ آلو ..

_ آلو ..

_ حبيبي أريد رأيك في أمر ما .

_ ماهو .

_ غدا حفل زفاف صديقتي وأنا في حيرة أي فستان سأرتدي ؟

_ إرسليها لي مصورة وأنا سأختار لك .

قامت بتصوير الفساتين المرشحه وأرسلتها له .

_ آلو

_ مرحبا حبيبي .

_ جميعها جميلة للغايه ,حتى أنا أصابتني الحيره لكن أجملها الفستان الأصفر .

_ إذا سأرتديه .

_ أشعر بالغيره , فأنتي من دونه ملكة جمال كيف إذا إرتديته.

أضاف مازحا:

_هل من الضروري أن تذهبي ياأميرتي؟

ردت بدلال :

_ حبيبي ..إنها صديقتي..

وصلها صوت ضحكته المرحه قائلا:

_ حسنا إنتبهي لنفسك وإن إحتجتي لأي شئ إتصلي بي ولاتنسي أن ترسلي لي صور الحفل وأحبك كثيرا .

_ أنا أيضا حبيبي ..

_ (ريما) .. ماذا حدث بشأن تلك القصه على الدفتر الوردي ؟

_ هههههههههه أعدك أن أكملها بعد زواجنا .

_ إذا علينا أن نتزوج في أقرب وقت .

_ من أجل إكمال قصه ؟ أنا أعترض ..

_ متى تكتبين عادة ؟

_ ليلا , عندما ينام الجميع ..

_ هل تفكرين بي عندما تكتبين ؟ ألم أتسلل مرة الى صفحة من صفحاتك ؟

_ أنت موجود في كل كلمة من كلماتي , لو تأملت قليلا لوجدت إنك البطل في كل رواياتي..

_ كيف أعرف أني بطلك في قصص لم تكتمل بعد ؟

_ ستكتمل يوما , كل مافي الأمر إنني أؤجلها لأني أعيش قصة حب معك نحن أبطالها , لاحاجة لي بعد الأن بقصص الحب الوهمية , أنت واقعي وبطلي , لا أبطال مزيفون بعد اليوم .

.....

يوم من العمر

إلتقيا على باب السينما حيث كانا على موعد لحضور أحد الأفلام وتصافحت أيديهما وهو يعبر عن إعجابه بجمال ثوبها قائلا :

_ تلك هي فتاتي ذات الوجه الجميل والعينان الساحرتان , تبدين في غاية الجمال والأناقة والروعه هنيئا لي برفقة ملكة جمال الكون .

_ وهذ هو أميري المتألق دوما ذو الإبتسامة القاتلة والنظرات الدافئة .

_ أنتي تتغزلين بي ..

_ ومن لي غيرك لأتغزل به ..

_ هيا ..إسمعيني إذا ..

_ أنت حبيبي وأميري ,لارجل مثلك ..لايوجد مثيلا لك إطلاقا قلبك نقي وطيب , قد تكون قاسيا في بعض الأحيان لكنك عطوفا حنونا الى أبعد الحدود ..

_ لماذا توقفتي , أنا أريد المزيد .

_ (جواد) كف عن ذلك .

_ لماذا؟ إن لم تتغزلي بي أنت فمن ستفعل ذلك ؟

_ هههههههه .. حسنا ياسيدي , تعلم كم أعشقك يارجل يملأني كلي على بعضي ,أنت في كل مكان ..في قلبي ونبضاته ..في دمي وشراييني وعروقي ..في أنفاسي وعيناي ..في أحلامي ويقظتي , عالمي يملؤه رجل واحد يكتوي قلبي بنار جاذبيته وسحره هو أنت يا(جواد) , لقد لونت حياتي بكل ألوان السعادة والحب والفرح وجعلتني أرقص غبطة وسرورا , منحتني الأمان والدفء , أنت رجل صادق الى أبعد مما تخيلت بسيطا ..متواضعا مرحا , أنت رجل فوق طاقة الكلمات حبيبي .

_ أتقبلين الزواج بي حبيبتي , أرغب في قضاء كل لحظة من حياتي برفقتك , أرغب في أن نبني معا بيتا صغيرا يحتوينا معا نتقاسم فيه كل شئ حتى أنفاسنا .

_ ربما لا أجيد الطبخ وإدارة المنزل ..هل ستساعدني؟

_ بكل تأكيد أميرتي , في ذلك العالم الجديد الذي سنعيش فيه معا سنتعلم فيه إدارة منزلنا , ستكون حياة جديدة وجنة لكلينا أعدك أن أدعمك في كل خطوة منها سنطهو ونتقاسم مهام منزلنا فيما بيننا , هل هناك أي أوامر أخرى يامولاتي ؟

ضحكت (ريم) بنعومة قائلة :

_ لايجب أن يكون مجرد كلام وبعد الزواج يصبح لاوجود له على أرض الواقع .

_ أنتي تعلمين إنني ليس من النوع الذي يتكلم عن شئ لايستطيع فعله .

عانقته (ريم) بحب مؤكده:

_ أجل أعلم حبيبي ..

ثم دلفا لحضور الفيلم بصالة العرض وأيديهما متشابكه.

حاسة الأنثى

بعد يوم متعب من العمل في موقع خارج الشركة ودعا (حيدر) وعادا الى مكتبهما , وطوال الطريق لم يكف (جواد) عن الدفاع عن صديقه الذي لا تنفك (ريم) عن مهاجمته بين الفينة والأخرى وفي غمرة حديثه عن (حيدر) ومدحه له نظرت إليه قائلة :

_ حبيبي لاتمدح صديقك هذا أمامي .

_ لماذا؟

_ ألم تسمع بهذا القول (إحذر عدوك مرة وإحذر صديقك ألف مرة)

_ ألم تسمعي أنت بهذا القول (الصديق أخيك الذي لم تلده أمك) , ماالذي لايعجبك به ؟ أنتي تعاملين جميع أصدقائي بلطف لكنك تحذرينه وتنفرين منه , هل بدر منه شئ ؟

_ لا ..لكن نظراته لي في بعض الأحيان لاتعجبني .

_ مابها نظراته ؟ لم أنتبه لذلك أبدا !

_ لايمكنك الإنتباه لها لأنه صديقك , إنها حاسة الأنثى ياحبيبي .

_ حاسة الأنثى .. حسنا .. لكن ثقي به .. إنه صديقي رغم كل شئ وآخر رجل على ظهر هذه الأرض يفكر في أذيتي .

كانت تعلم أن قلب حبيبها طيب يمنح ثقته للجميع , لكن رغم كل أحاديثه عنه إلا إنها لم تأمن له قط أو تتمكن من منحه تلك الثقة التى تمنحها في أحيان كثيرة ل(وليد) أو(عامر) .

فبعض الأصدقاء قريبون من بعضهم جدا وتتشابه ميولاتهم حتى في الحب وإختيار شريك الحياة.

.....

وجوه وأقنعة

الرجاء .. الأمنيات .. الدعوات .. لحظات صافية ومشاعر صادقة نعيشها مع أنفسنا ونتقاسمها مع رب العباد ..

الزمان لم يعد كالسابق .. والأمنيات تغيرت ..

أصبحنا مكبلين بقيود أكبر منا بكثير لاتسمح لنا بالذهاب أبعد من عالم الخيال والاحلام..

وجوه واقنعة ..لاتعرف أي منها حقيقة وأيها مزيف؟

تضحك ..تبتسم ..تجامل ..تمضي ..

هكذا اصبحت الحياة؟

غريبة عنا وغريبين نحن عنها ..

لايمكننا فهمها ولايمكنها ان تفهمنا ..

ندعي السعادة .. نتكلف .. نتصنع .. نغمض أعيننا عن الواقع المرير ونرضى بقضاء الله أملا في غد أفضل ومستقبل أجمل ..

نمضي في طريق لاندري لأي نهاية قد يقودنا ولانملك بتلك القلوب التي تخفق بصمت بين أضلعنا سوى الدعاء والامل ..

هاتفته (ريم) عدة مرات ولم يرد ..

قامت بإرسال رسالة إليه (حبيبي أين أنت , أنا في منزل صديقتي تلك التي أخبرتك عن عرسها من قبل وقد تأخر الوقت , أنا خائفة لايمكنني الذهاب بمفردي الى المنزل , ماذا أفعل؟)

وصلته رسالتها وهو في غمرة إندماجه مع ذلك المؤتمر الذي إختارته الشركه ليكون ممثلا لها به

(إنتظريني)

أرسلها (جواد) وهو يدير في عقله إمكانيه حضور أحد أصدقائه هذا المؤتمر نيابة عنه .

هو يعلم أن (حيدر) سيخذله في موقف كهذا لذلك إستبعده خارج دائرة تفكيره وهو يكتب رسالة نصيه الى (وليد) الذي لم يخذله قط كلما إحتاج إليه وكان أهلا لكل من وضع ثقته به .

((وليد) عليك الحضور للبقاء مكاني في المؤتمر , لدي أمر طارئ وعلي الذهاب)

(كم يلزمك من الوقت لحين حضوري؟)

(عليك الحضور في غضون نصف ساعه)

على الجانب الآخر كان (وليد) بعيدا عن مكان المؤتمر بمسافات شاسعه , لكنه قام بالإتصال ب(ولاء) التي تسكن بالقرب من تلك المنطقة .

قبل مرور النصف ساعة كانت (ولاء) مكان (جواد) بالإجتماع ووجد الآخير العذر الملائم للخروج من قاعة الإجتماعات وذهب لإيصال (ريم) الى المنزل ثم عاد أدراجه لمقابلة (ولاء) خارج قاعة المؤتمرات لتخبره بما فاته من أمر المؤتمر .

أنا بإنتظارك

_ آلو .

_ مساء الورد .

_ مساء الياسمين ياوردتي .

_ مابال صوتك متعبا حبيبي ؟

_ صدقت , فأنا أعمل منذ ساعات طوال حتى إني أعجز عن صنع كوب قهوة لنفسي من كثرة الرسومات المتبقيه لي .

_ عليك أن تستريح بعض الوقت يا(جواد) , أنت تعمل كثيرا , إعذرني لكن (حيدر) هذا بلا إحساس ورحمة أنت تقوم بعمله وعملك وتغطي عليه أكثر من إستطاعتك , دعه يعمل على مشاريعه بمفرده .

_إنه صديقي ..لايمكنني التخلي عنه .

_ ألأنك صديقه يستغلك ؟ إين أنت الأن ؟

_ في شقته .

_ حسنا أنا في طريقي إليك .

_ لماذا؟

_ لأعد لك الطعام وأصنع لك كوبا من القهوه فأنا أعلم إنك لن تنهض من مكانك إلا للصلاة .

_ حسنا أنا بإنتظارك .

أحلام منزلنا معا

لم تقف طويلا أمام الباب .. فقد أطل (جواد) بهيئة يكسوها الإعياء والإرهاق الشديدين ووجدت (ريم) نفسها تحدق بتلك الوسامة الساحرة والجاذبية التي يتسم بها حبيبها , وهو يستقبلها بإبتسامة واسعة وعناق حميم.

عند دخولها لاحظت إنه لم يغلق الباب الى آخره بل تركه مؤاربا ..

تناثرت أوراق الرسم والمجسمات الهندسيه وأقلام الرسم والتلوين في كل زاوية وقعت عينيها عليها وكأن هذا المكان مرسم بإحدي كليات الهندسة لا منزلا يعيش به كائنا بشري .

جلست على المقعد المقابل له وهي تسأله عن حاله وشرح لها عما تبقى من مشروع حيدر السياحي الذي كلفته الشركه بتصميمه لكنه غادر الى قريتهم برفقة والده لإنهاء عمل مهم وتركه يؤدي تلك المهمة عنه .

وصل الى مسامعهما صوت آذان العصر فإستأذنها (جواد) للذهاب الى المسجد ونهضت هي متوجهة الى المطبخ علها تجد شيئا تطبخه له إضافة الى القهوة .

الشقه التي يقيم بها (حيدر) فخمة وراقية , إضافة الى أنها مفروشة بأحدث أنواع الأثاثات المنزلية مما يوحى بذوق صاحبها وحبه للترف والمظاهر.

عاد (جواد) من المسجد ليجد (ريم) قد حضرت له البيض المغلي مع بعض الخضروات واللحم المشوي على طاولة الطعام وقد توسطتها شموعا ملونة يتراقص ضوءها في إيقاع جميل.. ثم شرعت بتحضير القهوة.

وضع الوردة الحمراء التي أحضرها من حديقة المنزل على شعرها وتوجه للجلوس قائلا :

_ يبدو إنك قد وقعت في عشق مطبخ (حيدر) العصري؟

ردت عليه وهي تسكب البن على الماء المغلي:

_ لا .. لم يعجبني بتاتا .. لامطبخه ولامنزله .

وأضافت مازحة وهي تضحك:

_ حتى صديقك البدين ذو الكرش لايعجبني بأفكاره التقليديه وعقله البدائي ذاك.

وضحكا بمرح , تسائل (جواد) وهو يسند ظهره الى مقعد كرسيه متأملا إياها وهي تصب القهوة وتضع الأكواب على الصينيه:

_ ماالذي يعجبك إذا .. ماشكل ذلك المنزل الذي تتمنين العيش فيه؟

توقفت عن تنظيف الطاولة من بقايا الطعام وهي تلتفت إليه لتتقابل عيناهما في نظرات حالمة وهي تقول:

_ أتمنى العيش في منزل تزين جدرانه ضحكتك ودفء حبنا يكون فيه أكبر من الترف والمظاهر المخادعة ، هذه أمنيتي في الحياه وحلم عمري , عدني أن تحققه لى ..

نهض (جواد) قاطعا تلك المسافة بينهما ليضمها إليه بحب قائلا:

_ أعدك ياحبيبتي بذلك , أعدك .

_ علي إخبارك سرا , أنا أهيم عشقا بك ,عشقي لك سيقودني الى الجنون يوما ,أنا بحاجة إليك يا(جواد) .. لايمكنني العيش بعيدا عنك , لاتتخلى عني .

_ لن أتخلى عنك حبيبتي أنتي كل حياتي سأموت من دونك ..

_ لاتقل ذلك , أتمنى لك العمر الطويل حبيبي .

_ لا أرغب في أكثر من عمر أعيش كل ثوانيه معك؟

جلسا حول الطاولة وضحكاتهما تعج في المكان وشرعت (ريم) تطعمه بيدها وهي تروي له عن تفاصيل يومها .

.....

لاعقل في الحب

في اليوم التالي داهمها ذات الشوق إليه وهاتفته ..

كانت أجمل محادثة هاتفية يجريها عاشقين .. وجدته بالنادي الرياضي مع أصدقائه يشاهد المباراة .. فطلب منها بعض الوقت للخروج الى مكان هادئ .. تسائلا عن أخباريهما وقادهما الحديث الى الكتابة والروائيين..

_ إنتظري قليلا سأقرأ عليك أحد الروايات التي أعشقها..

أنصتت لقوله وهو يسرد عليها بصوته الرجولي الآسر رواية(عطر نسائي) من الغلاف وحتى الوقت الذي إنطفأت به هواتفهم معلنة إنتهاء شحنها وحاجتها للكهرباء .

و في أحد الأيام سألته وهما يتراسلان عبر أحد المواقع الإجتماعية المخصصه للمراسلة .

(إن العشاق يظهر حبهم في أعينهم وسلامهم وكلامهم لكنني لم أرى من قبل حبك في أي من تلك الأشياء)

وردتها رسالته :

(هذا غير صحيح .. من قبل لم تركزي معي فقط لتعرفي ذلك الحب بكل تفاصيلي في كل لقاء جمعني بك حتى لو كان عابرا .. حبك واضحا في عيناي لدرجة أن الجميع عرفه وأنتي لم تعرفينه)

ردت رسالته بكلمات دافئة :

(أتعلم شيئا أول مرة أحس فيها بحبك عند دعوة العشاء التي أقامها أبي بالمنزل .. في ذلك الوقت كان قلبي يدق بشدة وخفت أن أنظر في عينيك فتعلم بحبي لك)

(وأنا أحبك منذ وقت طويل وأبعد من هذه السنوات التي شعرتي فيها أنتي بحبي)

(أعتذر لأنني إفتقدتك في أوقات كثيرة ولم أقل لك ذلك)

(وأنا أشتاق إليك وأفتقدك كلما تنفست)

ثم بادرها بسؤال مفاجئ :

(مارأيك أن تكون خطبتنا في نهاية هذا الشهر؟)

كانت تتمنى ذلك بشدة فهي تعد الثواني واللحظات لذلك اليوم .. لكنها تعلم بأنه لايستطيع فعل ذلك لأن ظروف العمل لاتسمح في الوقت الراهن على الأقل.

(لننتظر بعض الوقت ياحبيبي حتى تنتهي من عملك الحالي)

(لكنني أخشى أن أقيدك بي دون إرتباط رسمي بيننا وحينها سيتحدث الجميع ويزعجونك كثيرا وأنا لا أرغب بذلك)

(هي مسألة وقت فقط ياحبيبي)

(حبيبتي ..كم أنا محظوظ بك .. أنتي تمنحينني في كل مرة دافعا الى الأمام لأنجح من أجلك .. في ذلك اليوم الذي سأنهي فيه هذا المشروع ستجديني أمام منزلك وبثياب العمل ربما ، إن أمكنني الإنتظار لحينها)

مايريده قلبك

_ مابال أميرتي شاردة الذهن ؟

إبتسمت ريم قائله:

_ لدي أمنية تلح علي بشده منذ الصباح .

جلس (جواد) خلف مكتبه متسائلا:

_ ماهي؟

_ أريد أن أرقص على أغنية أجنبية موسيقتها رائعة سمعتها هذا الصباح على الراديو .

أطلق (جواد) ضحكة عالية وهو يضع الأوراق من يده على الطاولة وينظر الى (ريم) المسترخية بتكاسل على مقعدها :

_ أنتي تمزحين ؟

هزت رأسها وهي تنظر إليه نظرات ذات مغذى:

_ مارأيك ؟

وفهم مايكمن خلف نظراتها :

_ أنا ؟ لا لا لا إفعلي ذلك وحدك, سأوفر لك المكان فقط ..

نهض وهو يمد لها يده يساعدها لتنهض بدورها:

_ لقد أحببت فتاة مجنونة ..

ضحكت قائلة وهي تمسك بيده :

_ وأنا أحببت الرجل الأكثر جنونا ..

_ سيقتلني والدك يوما بلا شك ..

_ هههههههه لاتقلق أنا معك , إن تطلب الأمر سنموت معا بكل تأكيد .

توجها الى الإستراحة الخاصة بالشباب بعد أن قامت (ريم) بتحميل الإغنية من الإنترنت وإنساب صوت الموسيقى .

خرج (جواد) بعد أن طلب منها إغلاق الباب بإحكام من الداخل قائلا:

_ سأنتظرك أمام الباب

.....

أثناء إنتظاره جاء (وليد) وعلى وجهه آثار التعب المفرط وعينيه غائمتان من الإجهاد ..

_ السلام عليكم, (جواد) كيف حالك؟

_ وعليك السلام والرحمة والبركة,بخير الحمدلله وأنت؟

_ الحمدلله ,كما ترى عدت لتوي من الموقع ..

حاول أن يفتح باب الإستراحة ولم يفلح , إلتفت الى (جواد) متسائلا:

_ الإستراحة مغلقة !؟ ما هذا الحفل الذي يدور داخلها؟

حاول (جواد) أن يكتم ضحكة تلح عليه وهو يجيب:

_ إنه هاتفي , لقد نسيته بالداخل وأحدهم أغلق الباب وأخذ المفتاح .. أنا أنتظر أيضا .

ظهرت علامات الضيق على وجه (وليد) وقبل أن يبدأ بالشتم ويجمع حولهما الشركة بمن فيها أدركه (جواد) مقترحا وهو يمد إليه مفتاحا:

_ يبدو إنك متعب , إليك مفتاح مكتبي .. إنه فارغ يمكنك الإستراحة به.

غطت علامات الإرتياح والإمتنان وجه (وليد) وهو يأخذ المفتاح ويشكره متوجها الى المكتب.

بعد برهة من الوقت لاح شبح (حيدر) وهو يجرجر ساقيه نحو الإستراحة ..

_ مرحبا (جواد) , لماذا تقف خارجا ؟ هل تنتظر أحد؟

_ الإستراحة مغلقة , لدي شئ بداخلها ..

أسند حيدر ظهره على الحائط وهو يقول ساخطا:

_ لابد إنه (وليد) يضع أشياءه المهمة فيها ويأخذ المفتاح طيلة الوقت , سأقتله إن وجدته في طريقي اليوم لم أنام منذ الأمس ..

_ لا ليس هو هذه المرة ياصديقي ..

قطب (حيدر) حاجبيه وهو يسترق السمع:

_ ماهذا الصوت ؟ أغنية أجنبية وموسيقى , لقد تأكدت الأن أن (وليد) بالداخل ..

_ إنه هاتفي ..

ضحك (حيدر) مُعلقا:

_ ماهذه الدعابة ياصديقي , لايمكنني الضحك حقا لأن النعاس قد تمكن مني , هاتفك لايوجد به سوى القرآن والأدعية والأذكار , من أين جاءت الأغاني الأجنبية إليه , أعرف إنه (وليد) ..

بادله (جواد) الضحك وهو يقول موضحا:

_ إنه هاتفي بالفعل لكن تلك أغنية نقلتها من هاتف (ريم) , على العموم .. يمكنك الذهاب للنوم بمكتبي فلا يوجد به سوى (وليد) الذي يغط في نوم عميق .

بدا إنه لم يقتنع بكلام (جواد) بأن (وليد) برئ من إغلاق الإستراحة .. لكن من فرط تعبه لم يدقق كثيرا وتوجه الى المكتب .

خرجت (ريم) وعينيها تشع بريقا أدخل السعادة الى قلب (جواد) وهي تسلمه مفتاح الإستراحة .

_ هل نذهب الان , إنتهى وقت المرح يا أميرتي لدينا عمل .

لاحت على شفتيها إبتسامة واسعة وهي تقول:

_ في البدء علي غسل وجهي ثم إحضار كوبين من الشاي لنا ثم العمل .

_ إذا سأسبقك الى المكتب لأيقظ أولئك النائمون .

_ هههه ..النائمون ؟ من؟

_ لاعليك سأتولى أمرهم لاتتأخري .

قبل أن يبتعد نادته(ريم) وهي تنظر إليه بحب عميق وإمتنان وشكر:

_ جواد ..

إلتفت إليها مستفسرا:

_ نعم ..

_ أحبك ..

إبتسم وهو يبادلها تلك النظرات العميقه قائلا:

_ وأنا أعشقك ..

.....

غيرة مجنونة

فُتح باب مكتبهما لتلوح من خلفه المهندسة (ولاء) التي نظرت بإستخفاف الى (ريم) وهي تتوجه الى (جواد) قائلة:

_ (جواد) أريدك أن تشرح لي بعض الأشياء التي لم أتمكن من إستيعابها في هذا المشروع.

قال (جواد) وهو يمد يده لأخذ المشروع منها:

_ على الرحب والسعة ..

وبدأ بالتوضيح لها وهي تقف بالقرب منه تستمع إليه. تمعنت(ريم) في النظر اليهما والى إندماجهما معا في الشرح بشرود والغيرة تنهش قلبها وهي تمسك كوب الشاي الساخن بيدها وتتابع نظرات الإعجاب والحب في عيني (ولاء) .

لم تشعر بضغط يدها على كوب الشاي ولا بتهشمه بين أناملها إلا وهي تصرخ ألما .

نظر (جواد) و(ولاء) إليها لمعرفه سبب صراخها , كان الدم ينزف من يدها وقد تناثر الكوب على الأرض بعد أن غاص جزء منه بلحم يدها .

هرول إليها (جواد) لمعرفة عمق الجرح الذي إنغرزت قطعة من الزجاج به قائلا :

_ ماهذا يا(ريم) .. أي تصرف هذا؟

_ لم أنتبه ..

_ هيا بنا الى المستشفى ..

خرج وهو يقودها الى حيث السيارة دون أن يلتفت لرؤية (ولاء) التى كرهت (ريم) بشدة في تلك اللحظه.

لم يتوقف جرحها عن النزيف رغم كل تلك المحاولات التي بذلها (جواد) وهو يهرول بها الى أقرب مستشفى حيث تمت نظافته من الزجاج وتضميده .

في طريق العودة نظر إليها بقلق متسائلا :

_ فيما كنت ساهية لدرجة تهشم الكوب بيدك ؟

إسترخت على ظهر المقعد بتعب مغمضة عينيها وجرحها ينبض ألما:

_ فيكما .. تبدوان ثنائيا رائعا ..

قطب جبينه متسائلا :

_ من تعنين ؟

_ أنت و(ولاء) ..!

_ ياإلهي .. ماالذي تقولينه يا(ريم)؟

_ الحقيقة !

_ (ريم) إنظري إلي أنتي لاتعنين ذلك أليس كذلك ؟

عضت شفتها السفلى بألم قائلة:

_ بل أعنيه .. أنت لم تنتبه لوجودي حتى !

_ كنت أعمل .. كانت بحاجة لبعض المعلومات وزودتها بها ..أي جرم إرتكبت لتأذي نفسك بهذه القسوه؟

فتحت عينيها الدامعتين وهي تقول بألم :

_ أنت تعلم إنها تحبك ؟

_ كما تعلمين أنتي أن (حيدر) يحبك ؟

_ لاتغير الموضوع يا(جواد) , إنه صديقك لاصديقي ولاتهمني مشاعره قيد أنملة فليذهب للجحيم هو وحبه.

_ هي أيضا لاتهمني مشاعرها قيد أنملة ولتذهب الى الجحيم هي وحبها .

_ لكنني أغار عليك منها , لايمكنني تحمل رؤيتها معك, لم لاتفهم ذلك .

_ حسنا إهدأي , أعدك ألا أتعامل معها نهائيا إن كان الأمر يزعجك حبيبتي .

_ حسنا ..

_ (ريما) الى اي مدى تحبينني ؟

_ الى المدى الذي سأفقد فيه روحي وعقلي ويصبح جسدي بلا حياة إن إفترقنا يوما.

_ هل ستنسيني؟

_ لما تقول ذلك يا(جواد) حديثك يؤلمني أنت وحدك تعرف كم أحبك لو طلبت حياتي لأعطيتك إياها أنت نور عيناي ونبض قلبي أنا أرى الحياة بعينيك وأشعر بقلبك , من دونك لن ترى عيناي شيئا ولن يشعر قلبي أي شئ .

_ سأموت إن تخليتي يوما عني , لايمكنني العيش في حياة تخلو منك لقد منحتك كل الحب بقلبي والثقه أقسم لك إني لم أحب أنثى مثلما أحببتك أنت .. أنتي غير كل نساء الكون , لا أحد يشبهك لا أحد يشبه نظرات عينيكي وإبتسامتك لا أنثى تمتلك ذلك الجنون والعقل والصخب والهدوء والرقة والجمال والطموح سواك أنتي حبيبتي , كل شئ فيك فريدا من نوعه , لايمكن لأنثى أن تحتلني كما فعلتي أو تصل الى تلك القمم العالية التي وصلتها بقلبي .

وضعت رأسها على كتفه قائلة بحب:

_ أحبك ..

_ ماذا ستفعلين إن وقعت إحداهن في غرامي ؟

_ أقسم لك إنني سأقتلها , فقط دعها تمتلك الجرأه للإقتراب منك , سألقنها درسا لن تنساه طوال حياتها .

ضمها الى صدره بقوه مؤكدا:

_ حبيبتي , لاأريد رؤية دموعك ثانية أرجوك لاتبكي أنا هنا بالقرب منك لن أذهب أبدا لن أتركك ولن أخذلك أنا هنا لأجلك وسأعيش وأموت لأجلك ثقي بذلك.

_ أثق به , لكن لدي سؤال .. هل أحببت فتاة قبلي ؟

_ أتريدين الحقيقة أم الكذب ؟

_ الحقيقه بكل تأكيد .

_ أحببت فتاة ليست مثلك في شئ , بالأحرى توهمت أني أحبها , فتاة الفرق بينك وبينها كالفرق بين الأرض والسماء .

_ أين ذهبت الأن ؟

_ موجودة في مكان ما ؟

_ ماذا إن عادت الى حياتك ؟

_ لم يعد بقلبي مكان لها ولا لغيرها , أنتي تشغلين كل حواسي وقلبي الذي هو ملك لك في الأصل ياحبيبتي أنتي عالمي ومستقبلي وأدعو الله من كل قلبي أن أتمكن من منحك السعاده والفرح .

موسيقى ضوء القمر

_ آلو

_ (ريما)

_ عيون (ريما)

_ إين أنتي؟

_ في المنزل .

_ أشعر بالضيق والإختناق , هل يمكننا أن نخرج معا؟ أدري أن اليوم الجمعه وهو يوم الراحة الوحيد الذي نملكه لكنني بحاجة للحديث معك..

_ ما الذي حدث؟

_ لاشئ محدد .. عندما نلتقي سأخبرك كل شئ .. أنا أمام منزلكم ..

_ أمنحني بعض الوقت حبيبي , سأرتدي ثيابي وأتيك في الحال .

_ لاتتأخري علي ؟

_ لك ذلك ياعمري ..

أنهت المكالمة وتوجهت لإخبار والدتها إنها ستخرج مع (جواد) لإحضار بعض الأشياء التي يحتاجونها في المكتب .

إنتقت فستانا بني ذو أكمام طويله إرتدته وأخذت حقيبتها ذات اللون نفسه وهرولت مسرعة الى (جواد) الذي ينتظرها .

_ حبيبي هل تأخرت عليك ..؟

_ تعودت على ذلك ياحبيبتي ..دوما تتركيني أنتظر

ضحكا وهو يقود السيارة نحو ذلك المكان المفضل لكلاهما على ضفاف النيل ونسماته الباردة المنعشة .

_ لقد قلقت عليك .. هل أنت على مايرام ؟

_ لا أظن ذلك ..

_ ماذا حدث ؟

_ أحساس موجع يحتل قلبي , أشعر بالضياع حبيبتي , أسير في طريق لا أدري الى أين سيوصلني ؟ أفعل أشياء لم أرغب يوما بفعلها , تفاصيل كثيرة تؤلمني أولها خوفي من أن أفقدك ..

_ حبيبي لم تقول ذلك ؟ قلبي فداك , تقلقني عندما أسمعك تتحدث بهذا اليأس والعجز الذي لم أعهده فيك من قبل , ثمة شئ يزعجك ويقض عليك مضجعك , إحكي لي عنه .

_ حمل ثقيل على صدري يا(ريم) لا أدري كيف أزيحه أو أتحدث عنه ؟

إحتوت يده بين يديها وقد أوقف العربة لحظة وصولهما وهي تنظر إليه بحب قائلة:

_ لاشئ يستحق الحزن سوى تقصيرنا في واجباتنا الدينيه وإبتعادنا عن الله , توكل عليه وإرمي كل همومك وأحزانك وأنت تناجيه ساجدا , سيزيح ذلك الحمل عن كاهلك , وتذكر إنني هنا معك ولن أتركك مهما حدث ..

نظر إليها مستفسرا :

_ مهما حدث ياحبيبتي؟

_ نعم , مهما حدث , أنا وأنت خلقنا لبعضنا البعض لذلك لايمكننا العيش بعيدا عن بعضنا , الموت وحده هو القادر على أخذي منك ..

_ سنموت معا لكننا لن نتخلى عن بعضنا , عديني بذلك .

_ أعدك حبيبي , أعدك .. هل تريدني أن أقسم لك .

إلتقت عيناهما في وعد طويل وهو يقول:

_ أجل .

مدت يدها لأخذ المصحف من درج سيارته وهي تضع يدها عليه وتنظر الى عينيه قائلة :

_ أقسم إني لن أتخلى عنك , سأظل أحبك ولن يفرقنا سوى الموت .

هبت نسمات النيل الناعمة لتزيح تلك الكآبة عنهما , وهما يتوجهان للجلوس على مقعدين متجاورين على ضفاف النيل وأيديهما متشابكة.. ينظران الى القمر المضيئ بين النجوم على صفحة السماء الزرقاء بإنشراح .

حول بصره نحوها , نحو الوجه الذي جذبه جماله من أول نظرة في قاعة الرسم وتلك العينان التي عجز عن نسيانها لسنوات , وهمس :

_ أنتي هنا بقلبي أحيطك بأمانه ودفئه خوفا عليك من الزمان وأعاصيره , أصطحب طيفك في كل رحلات حياتي ومشاويري .. أحدثه عنوة بين الناس حتى رموني بالجنون .. أراقصه على موسيقى ضوء القمر في الليالي الشاعرية .. أسرد عليه الحكايات والأمنيات والأقاصيص .. أنتي معي رغم أنف القدر وأحبك حبا لايعترف بأي حدود من صنع البشر .. ستظلين بقلبي لو مزقوني إربا وتقطع نبضي الى ذرات صغيرة .. ستظلين في كل دقة قلب وخاطرة ونفس وحلم .

في حركة مفاجئة إنحنى (جواد) أمامها وركبته تلامس الأرض وهو يقدم لها ذراعه قائلا:

_ أتقبلين الرقص على أنغام قلبي يا أميرتي الحسناء .

في البدء نظرت (ريم) إليه بإستغراب ودلال ثم مالبثت أن توردت وجنتاها بحمرة الخجل وإفتر ثغرها عن إبتسامة جميلة وهي تمسك بيده :

_ يسعدني ذلك يا أميري النبيل.

على أنغام قلبه وإنسياب ألحان نبضاتها رقصا حافيين فوق ذرات الرمل الرطبة وكأن لا أحد سواهما في الكون كله .

_ (ريما) ..

نظرت إليه بحب مستفسرة وهو يسترسل :

_ اليوم كلفتني الشركة بالسفر الى (اليونان) لإنهاء بعض الأعمال ..

توقفت عن الرقص وقد إمتلأت عينيها بالدموع وهي تقول بصوت مخنوق :

_ اليونان ..

رد بإعتذار :

_ لن أغيب عنكِ طويلا .. شهر ستمر كل دقيقة فيه وكأنها أعوام .. لم أتمكن من الرفض لأن لاخيار أمامي وأنتي تعلمين أن والدك يثق بي ويعتمد علي في كل أعمال الشركة .. كيف أطلب منه عدم إبعادي عنك أو سفرك معي .. لا حق لي في ذلك الأن على الأقل ..

تسللت الدموع ساخنة على خديها وهي تقول :

_ كيف ستتركني شهرا بأكمله .. أنت لاتعلم كم عانيت في السنوات التي تركتني فيها من قبل ياجواد .. كنت أبحث عنك كالمجنونة في كل مكان .. ماذا أفعل طوال شهر أنت غائب به عن حياتي ..

مسح دموعها بيده وهو يضمها الى صدره قائلا :

_ أعرف ماعانيته ياحبيبتي لأنني كنت أعاني مثلك كل تلك الأحزان كانت من الماضي .. الأن نحن معا .. لن نفترق أعدك بذلك .. شهر لن يزيد يوما .. ستجديني بعده أقف أمامك بكل شوق .. سيكون آخر فراق بيننا لأنني سأتقدم للزواج منك فور عودتي .. وأريد منك تصميم منزلنا خلال غيبتي لنبنيه معا ..

_ هل ستنساني ..

_ كيف سأنسى روحي وأنفاسي .. أنتي في كل نبضة من قلبي ولن أنساك حتى يتوقف وأموت ..

_ سأقلق عليك كثيرا .. يمكنني الإهتمام بك وأنت معي لكن ماذا سأفعل وأنت بعيد .. أين ستأكل ؟ كيف ستقضي يومك ؟ هل تنام جيدا ؟ هل ..

قاطعها بضحكة قصيرة وهو يقول :

_ حبيبتي ..

_ نعم ..

_ سأكون بخير .. لاتقلقي علي .. لأجلك سأنام جيدا وأتناول كل وجباتي .. لأجلك وحدك سأكون بخير وعافية .. أعدك .. فقط كوني أنتي بخير لأجلي ..

_ أعدك ياحبيبي ..

_ أحبك ..

_ وأنا أيضا ..

قلبي معك

" سنحب بعضنا كثيرا , نحب ونغرق معا في بحار من الحب لا آخر لها ..

تسلبنا عقولنا وقلوبنا وحياتنا في هذا الحب , نعيش معا قصة حب لايمكن أن تُنسي على مدى الأزمان .

سنقوى بقوة حبنا ونمسك يدي بعضنا بشدة حتى لاتستطيع قوة على ظهر الأرض أن تفرقنا ..

نحتوى بعضنا ونكتب على باب قلوبنا مملكة عشق تخصنا وحدنا ولانسمح لغيرنا بالإقتراب منها ..

فحقا نشتاق لحب أسطوري يجمعنا معا ..

حب نمنحنا فيه كامل ثقتنا وكل ما وهبنا الله له ولانخذل قط ..

حب يمكننا فيه أن نغمض أعيننا ونسلم حبنا زمام أمرنا في كل هذه الحياة ويكون أهلا للمكانة التي منحناه إياها في حياتنا ..

نريد حبا بلادموع ولا آهات ولافراق , نريد حبا أسطوري يجمعنا معا ..

سفر (جواد) كان بمثابة فرصة نادرة ل (حيدر) الذي غرق في حب (ريم) وتعلق بها .. وجد الوقت الكافي للتخطيط مع حبيبة (جواد) السابقة التي تخلى عنها من أجل حبه ل(ريم) بعد أن أوهمها أن مابينه وبين (ريم) مجرد صفقة للحفاظ على أحلامه ومنصبه في الشركة ولأن (ريم) قد تفعل أي شئ لتطيح به عن طريق أحلامها كما فعلت من قبل.

نار الإنتقام التي إندلعت في قلب محبوبة (جواد) السابقة إتحدت مع حب (حيدر) الذي حاول لفت إنتباه(ريم) لذلك الحب الذي يكنه لها لكنها هائمة ب(جواد) دون وعي

وتفكير , وإحتار كيف بوسع فتاة مثل (ريم) بثقافتها ووعيها أن تسير مغمضة العينين خلف رجل لاتصدق سواه ولاتستمع لقول سوى قوله , هي لن تحبه لكنه لن يتركها فريسة سهله بين أنياب (جواد), لأنه يدرك أن شغف صديقه للنجاح قد يقضي عليه وعلى كل من يقف في طريق حياته العملية.

حاول (حيدر) بكل الطرق الممكنة والمستحيلة التفريق بين (ريم) و(جواد) لكنه لم ينجح في ذلك.

كانا يثقان ببعضهما ثقة عمياء .. الرابط الذي يربط بينهما لايمكن قطعه بسهولة , رابطا لاتقطعه الأقاويل ولا الوشايات ولا العوازل .

وخطرت بباله فكرة شيطانية , فإن لم يكن بوسعه الوصول الى النجاح الذي حققاه سيضع أمامهما آلاف من العقبات ليتعثرا بها ولايتقدما الى الأمام خطوة واحدة إن لم تكن (ريم) له فلن تكون ل(جواد) أيضا .

إجتمع أربعتهم (وليد)(عامر)(حيدر)و(جواد) قبل سفره بيوم في منزل (حيدر) ليقوم بتسليمهم المشاريع التي بين يديه ..

قرر (حيدر) تنفيذ مخططه وهو يطلب من (جواد) هاتفه أثناء إنشغاله بمشاهدة المباراة بعد إنتهائهم من مناقشة بعض الأمور العالقة بمشروع الشركة الهندسية التي يرغب (حيدر) بإنشائها .

_ (جواد) لقد نفذ شحن هاتفي هل يمكنني إستخدام هاتفك لبعض الوقت ؟

مد إليه (جواد) هاتفه وهو يتابع المبارة بشغف مع (وليد) و(عامر).

إبتعد (حيدر) قليلا عنهم وهو ينقب باحثا عن صور (ريم) بين ملفات (جواد) في الهاتف .

كما توقع فقد خصص(جواد) لصورها ملفا كاملا , يحتوي على أكثر من مائة صورة لها متنوعة وفي أماكن متفرقة أحدها بكامل أناقتها والأخرى بثياب المنزل العادية .

وفي كسر من الثانية قام بنشرها على كل مواقع الإنترنت المختلفة ثم أعاد الى (جواد) هاتفه وجلس بينهم لمشاهدة المباراة .

.....

القلوب تهوي

لم تتمكن (ريم) من منع نفسها مرافقة (جواد) للمطار وهي تجلس قربه على المقعد الخلفي بسيارة (وليد) الذي تكفل بنقله ..

من قبل كان السفر خارج البلاد بالنسبة له رفاهية عالية وخطوة كبيرة في طريق أحلامه .. لكن علاقته ب(ريم) وعشقه لها تمكنا من تغييره .. لم يعد يرغب في يوم من دونها أو مستقبل لاتوجد به..

لم تجف دموعها طوال الطريق الى المطار رغم محاولات (جواد) المتعددة لإيقافها .. كانت أول مرة يبتعد فيها عنها من بداية حبهما .. لم تدري كيف سيمر هذا الشهر عليها؟ كيف ستظل في المكتب ومقعده خالي أمامها ؟ كيف تعمل في الشركة وهو غائب عنها ؟.

وقف (وليد) بعيدا ينظر إليهما وهما يودعان بعضهما وكأنهما لن يلتقيا مرة أخرى .. وهز رأسه وقد أدرك إنه لم يخطئ يوم قرر الإبتعاد عنها .. يوم لم يقف في طريق حبهما وضحى بسعادته لأجل سعادتهما .. أيقن أن لاحب بعد هذا وكأن قصة حبهما رواية من قصص الأساطير .. لم يكن ليصدقها لو لم يراها بأم عينه ..

تكرر النداء وفي آخر إنذار ل(جواد) ترك يدها متوجها لركوب الطائرة والدموع تغطى عينيه .. تمنى لو لم يذهب .. لو لم يتركها خلفه مع كل تلك الدموع والفراغ وهو يعلم أن لاحياة لها بدونه .. تمنى لو لم يغادر ..

قادها (وليد) نحو السيارة بعد أن شيعت عينيها الطائرة وهي تختفي خلف السحب آخذة معها قلبها .. وبكت بحرقة لم تبكي بها من قبل وتمنت لو ذهبت معه ..

عندما كان(جواد) في الطائرة بدأ(حيدر) بإستخدام نفوذه وثروته الضخمة ليتصل بمدراء الشركة اليونانية ويوصيهم بعدم السماح لصديقه مغادرة اليونان قبل أربعة

أشهر على الأقل وملأ وقته بالعمل لدرجة ينسى فيها نفسه .. كما لم ينسى تنبيههم لإبعاده عن كل وسائل الإنترنت وعدم ترك الوقت له للتفكير في شئ ..

من أول يوم له إنغمس (جواد) في الإجتماعات والمؤتمرات واللقاءات .. كما لم يفعل من قبل .. لم يكن

يملك وقتا للراحة وهو يقضي كل يومه مع المهندسين اليونانيين .. ينتقل من موقع لآخر ومن مؤتمر لإجتماع حتى إنه لايعود الى الفندق في أوقات كثيرة ويظل يعمل بمكتبه في الشركة حتى اليوم التالي ..

هاتفه ضائع في مكان ما بعد إتصاله بأسرته و(ريم) وإخباره لهم عن المسئوليات الكبيرة الملقاة على عاتقه والتى قد لاتمكنه من الإتصال بهم لوقت طويل .. لم ينسى (ريم) رغم الضغط الذي يعيش فيه بل كان يعمل بأقصى مايمكنه ليعود سريعا إليها ..

في السادسة صباحا بدأت خيوط الشمس تزاحم بقايا الظلام فترسل ألوانها القرمزية لتوقظ الكائنات من سباتها .. وسيارة (عوض حسنين) تلتمس طريقها نحو شركته وإبنته الغالية تجلس قربه بسكون ..

إفترقا أمام باب مكتبه .. حيث تركته (ريم) لتصعد الى مكتبها ..

أدارت مقبض الباب وتوجهت للداخل .. يبدو المكتب فارغا وكئيبا من اليوم الذي سافر فيه(جواد) .. وكأنه مهجور .. على الرغم من محاولات (سوسن) وبقية المهندسين في الشركة الترويح عنها لكن إفتقادها له كان أكبر من أي شئ آخر ..

قطع (حيدر) تلك المسافة التي تفصل بين مكتبيهما ليجد (ريم) كعادتها تفتح نوافذ المكتب , والأبخره تتصاعد من كوب الشاي على طاولتها .

إبتسمت وهي ترد عليه تحية الصباح وتتمنى له يوما جميلا.

_ (ريم) ماهذه الصور التي نشرتها على الإنترنت ؟!

قالها وهو يتصنع الحيرة والاستغراب بينما تملكتها الدهشة من لهجته الغاضبة وهو يسير نحوها وهاتفه بيده .

أشار الى الشاشة وهو يعرض عليها الصورة تلو الأخرى ..

إنهارت هي في مكانها غير مصدقة مارأته , وأحست أن عينيها تغوصان في الظلام وغابت عن الوعي.

في كسر من الثانية إنهارت ثقة دامت لسنوات وهي ترى بأم عينها صورها التي تملأ هاتف حبيبها منتشرة في الإنترنت ..

لاح شبح (جواد) أمامها وعقلها يستعيد كل كلمة .. كل لحظة .. كل شئ ودمعت عيناها وهي ملقاة على أرض المكتب وقد أدركت أنه طعنها بظهرها وخان ثقتها به .

في مواقف كهذه يتوارى الحب بعيدا وتختبئ الثقة لتترك الساحة للظنون والكراهية ..

في مواقف كهذه ينتقم الحب بإنتصار ويهد كل مابناه مهما كان عمقه ليقتلعه من الجذور بإحتراف ويمضي لنصب شباكه في مكان آخر دون مراعاة لحجم الجراح التي تركها خلفه .. وينتظر من تلك القلوب أن تتوسله ليعود فيتظاهر بالعمى والصم ..

الأن تخلو الساحة للعوازل وينهار الغرام ..

ذهول وإنكسار

مكثت (ريم) عدة أيام بالمستشفى في حالة صدمة حادة لاترغب في رؤية أحد بعد أن أخذها(حيدر) الى المستشفى بنفسه حينما كانت في حالة يرثى لها ولم يكف عن إشعال النار وإكمال خطته التي بدأها وهو يزرع بذرة الشك والكره في قلبها تجاه (جواد) كلما حاولت تبرئته أو إيجاد مبرر له ..

مر إسبوع حدث فيه الكثير .. (ريم) إختبأت بالمنزل مثل المجرمين خائفة من رؤية الأخرين و مواجهتهم بجريمة لم ترتكبها ..

(سوسن) و(وليد) و(عامر) قاموا بزيارتها في المنزل للإطمئنان عليها وعندما أكدت لهم إنها بخير تركوها مع أمنياتهم لها بالعودة العاجلة للمكتب وهم يظنون أن غياب (جواد) هو سبب مرضها ..

(ولاء) لحقت ب(جواد) بعد إتصال الشركة اليونانية وطلبها إنضمام (ولاء) الى (جواد) وفريق العمل لإكمال المشاريع المطلوبة .. ووافقت إدارة الشركة على مضض رغم علمها بأن الباشمهندس (جواد) لايشق له غبار وهو حتما ليس بحاجة لمساعدة (ولاء) له ..

لم يساند (ريم) في محنتها تلك سوى (حيدر) .. الذي لم يكف عن الإطمئنان عليها طيلة الوقت .. تارة عبر الهاتف وأخرى بقدومه الى المنزل .. و (عوض حسنين) يتأمل مايحدث بغرابة .. قبل أن يفاتح زوجته بالأمر ذات ليلة مستفسرا ..

_ ألا تلاحظين بعض التغيير في تصرفات إبنتنا ؟

_ لاشئ بها .. هي مرهقة من العمل وتحتاج لبعض الراحة فقط .. من الجيد أنك منحتها إجازة كافية لترتاح فيها ..

_ لا أقصد هذا .. كنت أظنها مهتمة ب(جواد) .. لكنها نسيته والأن تقضي معظم وقتها مع (حيدر) حتى إنهما يخرجان معا ..

_ لا غريب في الأمر فهي تعرف (حيدر) منذ مدة بعيدة وقبل عملها معك في الشركة لأن والده صديقك .. إنه إبن عائلة غنية ومشهورة وطالما تمنيت أن تقترن به إبنتي ..

_ وما عيب (جواد) ألأنه من عائلة بسيطة ورجل شريف ومكافح لايليق بإبنتك ..؟

_ بالطبع لا .. (جواد) شاب مهذب وكل أم تتمناه زوج لإبنتها .. لكننا لن نرغم إبنتنا على الزواج من الرجل الذي نريده نحن ..

_ أجل .. لهذا أتمنى من كل قلبي أن تختار إختيارا صحيحا .. كلاهما مهندسان ناجحان وبهما مميزات كثيرة .. لكن لايمكنني مقارنة (جواد) مع أي رجل أو مهندس آخر .. لأنه مختلف عن الجميع .. يشبهني الى حد لايمكنني فيه تصديق ذلك وكأنه نسخة مصغرة عني

_ ربما لهذا السبب أنت تحبه أكثر من إبنتك ؟

_ ليس أكثر منها .. ربما مثلها .. أفعاله وشخصيته تجبر المرء على حبه والثقة فيه .. لو كان لي إبن لتمنيت من كل قلبي أن يكون هو .. أنا أعتبر(ريم) و(جواد) عيناي اللتان أرى بهما الدنيا .. إن غاب أحدهما سأصاب بالعمى .. هما سندي في الحياة .. يوما ما سأكبر كثيرا ولن يأخذ بيدي سواهما .. لن يسمحا لمكروه أن يصيبني .. حتى تلك الشركة التي ناضلت بكل قوتي لأبنيها ستكون آمنة بين أيديهما .. هل عرفتي الأن لماذا أتمنى أن تتزوج إبنتي من (جواد) .. لأنهما عيناي الأثنتان وثقتي وقوتي .. لأنهما لن يخذلا (عوض حسنين) .. أستاذهما ووالدهما ..

إنقضت الساعات و (جواد) يحاول بإستماتة إقناع إدارة الشركة السماح له بالعودة وتسليم (ولاء) ما أتى لأجله لكن الإدارة كانت متشددة للغاية في إرساله الى أحد الجزر اليونانية لتصميم كل متر فيها وإحالتها من مجرد جزيرة مهجورة الى جنة لأن لا مهندس غيره يستطيع تحويل المستحيل الى واقع وأعمال(جواد) كانت خير شاهد على ذلك .. أخبروه أن(ولاء) ستكون مساعدته فقط وضمن فريقه لحين إكتمال المشروع وأن عليه الذهاب الى الجزيرة على الفور لأن الطائرة الخاصة بإنتظاره هو وفريقه ..

مشروع مثل هذا في ظروف غير هذه كان سيكون صفقة العمر بالنسبة ل(جواد) .. الذي صعد على متن المروحية بعد إخفاقة في إيجاد هاتفه المفقود وتكفلت إدارة الشركة بتكليف فريق للبحث عن هاتفه وإيصال رسائله لأسرته و (ريم) بأن إقامته في اليونان قد تطول كثيرا هذه المرة.

حاولت (ريم)الإتصال ب(جواد) كثيرا لكن لا أحد يرد عليها سوى (ولاء)..في كل مرة تطلب فيها التحدث مع (جواد) تجيبها الأخرى أن لا وقت لديه للتحدث معها ..

سألتها (ريم) في أحد المرات :

_ أين (جواد) .. ولماذا تحملين هاتفه على الدوام يا(ولاء) ..

جاءها الرد باردا على الطرف الآخر :

_ (جواد) موجود إنه قربي الأن لكنني أملك الصلاحية على هاتفه وقلبه كما كنت دائما وقد طلب مني إبلاغك عدم الإتصال به مرة أخرى .. وداعا أيتها الغبية لأني سأخرج مع حبيبي (جواد) للعشاء في أجمل المطاعم اليونانية .. لذلك كفي عن إزعاجنا ..

شعرت(ريم) وكأنها في كابوس مزعج وهي تهرول كالمجنونة للرد على إتصالات حبيبها .. ثم تتفاجئ بالمحادثات الدائرة بينه وبين (ولاء) وضحكاتهما تخترق سماعة الهاتف ..

كل هذا و (جواد) لايعلم شيئا عن مخططات (ولاء) التي أعتقد بأن الشركة أرسلتها لمساعدته في إتمام مهمته .. لايعلم شيئا عن سرقتها لهاتفه ولا إتصالاتها ب(ريم) وترك الخط مفتوحا لتسمع تقربها منه وإعترافها بحبه وإهتمامها به الذي ظنه بدافع الصداقة.

لم تصدق (ريم) ماسمعته أذنيها .. صوته وهو يضحك علاقته ب(ولاء) .. ذكرياتهما معا في قصة حب تسمعها للمرة الأولى .. لم تصدق كل ذلك .. وهي تستقبل مكالماته وتفتح مكبر الصوت لتعيش معه كل لحظة عمل ورفاهية .. فقط إتصالات دون كلام .. (ولاء) تتصل في الصباح الباكر وتترك الخط مفتوحا لتتسمع (ريم) كل مايدور بينهما من جد وهزل حتى ينقطع الخط وحده ..

أحست بالخداع والغدر .. لقد كان كل مابينها وبينه سرابا .. لم تكن هي حبه من البدء .. لم تكن فتاة أحلامه بل أحبها مجبرا .. لأن لاخيار أمامه سوى حبها دفنت وجهها المبلل بالدموع تحت وسادتها وهي تهمس:

_ أنا السبب في كل مايحدث لي .. لقد ترك الجامعة من قبل بسببي فكيف لايخاف على مستقبله وقد وجد أن عدوته اللدود إبنة مدير الشركة التي يعمل بها .. والتي لم تكف عن تهديده بالطرد من عمله في أول أيام لها بالشركة .. الأمان الوحيد له كان

إستغلال مشاعري وإيقاعي في حبه .. وصدقته .. لم أشك يوما في حبه لي وإخلاصه .. كم كنت ساذجة ..

أول فكرة خطرت ببالها هي الإنتقام .. قررت أن تعامله بالمثل وهي تحمل هاتفها للإتصال ب(حيدر) الذي تثق تماما في حبه لها .. لتسلمه زمام أمرها ..

تلك كانت اللحظة التي أنتظرها (حيدر) منذ سنوات .. ليعلن حبه على الملأ .. ويخطف الأميرة لقصره ..

بعد أن مهد لنفسه الطريق إستعد لآخر خطوة من الخطة وهويسألها ذات مرة بخبث ليقودها الى مايريد:

_ هل سرقت تلك الصور من هاتفك؟

قالت والدموع تتلألأ في عينيها:

_ لا ..كانت على هاتف (جواد)!

_ يا إلهي ..

قالها (حيدر) وقد غطى الرعب وجهه .

_ لماذا فعلتي ذلك ؟

_ ماذا تعني ؟

_ سامحيني لانني لم اخبرك من قبل , خفت ان تجرحك الحقيقة ..

_ أي حقيقة ؟

_ منذ اول يوم أتيت فيه الى الشركه راهننا (جواد) على إستطاعته إيقاعك في غرامه بسحره ووسامته وراهن الجميع مقابل مبلغ كبير من المال لكنني لم اقبل بذلك وانسحبت كنت اظن بانهم يمزحون لكن بعد ان قام ببيع صورك تأكدت بانه لم يكن يمزح .

_ لا لا أنت لاتعني ذلك ..رهان و(جواد) ..لالا !

_ صدقيني إنه صديقي وأنا أكثر شخص أعرفه وأفهمه في هذا الكون كله , إنه على علاقة ب(ولاء) ولم تنقطع علاقتهما حتى الأن هما يخططان لشيء لايمكنني معرفته , طيلة الوقت كنت احاول حمايتك منه لكنني لم أتوقع أن يكون حقيرا بهذا القدر أنا نادما لمعرفته , سامحيني لأنني أخفيت عنك حقيقته سامحيني يا(ريم) سامحيني.

_ أنت صديقه أليس كذلك ؟ كيف لايمكنك أن تعرف أن (جواد) لايمكن أن يسيئ إلي أبدا أو يؤذيني قلب (جواد) أنقى من هذا .

_ لكنه فعل .. صورك كانت على هاتفه .. ولم تكن على هاتف أحد آخر ..لاتنسي إنه من تخلى عنك وجرحك .. أين كرامتك وكبريائك من كل هذا لترمي بنفسك الى أحضانه مرة أخرى وتغفري له ؟ لو كان يستحق السماح لكنت أول من يطلب منك الصفح عنه , لكنه بلا قلب ولا ضمير , أحتار أين ذهب عقلك وترك لقلبك الحق في التفكير به وإيجاد الأعذار له بعد كل ماسببه لك , أنا هنا بجانبك أنتي لست بحاجة إليه بعد اليوم , عليك تلقينه درسا لن ينساه طوال حياته بدلا من ذرف الدموع على أطلاله وهو يحتفل مع فتاة غيرك .

_ ماذا أفعل ؟

_ سأخبرك عن صفعة لن يتمكن (جواد) من نسيانها طوال عمره .. وهي أن تتزوجي بي ..

_ أتزوجك ؟

_ أجل .. عندما يعود من رحلته السعيدة سيجد أن من حاول إستغلالها دوما وخداعها ضاعت من بين يديه .. لاتفعلي شيئا سوى الإستعداد لعرسك يا أميرتي وأتركي أمر هذا الخائن لي ..

لم تفكر كثيرا .. حيث لاخيار أمامها بعد أن ظنت أن (جواد) قد خدعها .. وصورها تنتشر يوما تلو الآخر والأشهر تمضي وهو غائب .

.....

صدمة العمر

جلست (ريم) على سجادة الصلاة تحتضن المصحف الكريم ودموعها لاتكف عن التوقف , لم تستطع أن تدعو عليه .

لم تستطع فعل شئ سوى التوسل الى الله بأن لايرى والديها تلك الصور ولا الكلمات البذيئة المكتوبه عليها .

لقد خذلتهما , خانت حبهما وثقتهما بها لأجله , لأجل رجل لايستحقها

ندمت على معرفتها به , على حبها له , على كل لحظة جمعتها به .

شعرت بالقذارة والقرف من نفسها لأنها منحته تلك المكانة بحياتها ,

أرادت أن تنسلخ من جلدها وتقطع قلبها الى أجزاء صغيرة تدفن كل جزء منها في مكان حتى لايعود الى الحياة مرة أخرى .

لم تكرهه , بل كرهت نفسها , كرهت يداها وعيناها وقلبها وجسدها , كرهت سذاجتها وبرائتها وأنوثتها كرهت وجودها في الحياة وتمنت لو لم تخلق بها يوما , لو لم تلتقي به يوما , لو لم توجد يوما ..

وسط دهشة الجميع تمت خطبة (ريم) و(حيدر) التى كانت في أفخم صالات المدينة .. وكيف لاتكون كذلك وإبنة الباشمهندس(عوض) تخطب لإبن أغنى العائلات بالبلاد .. لكن دهشة الجميع لم تكن أكبر من دهشة أصدقاء (جواد) المقربين .. وهم يرون حبيبة صديقهم تنساه بتلك السهولة لتقترن بصديقه المقرب في غيابه.. تلك كانت بمثابة صدمة حادة ل(وليد) و(عامر) و(سوسن) الذين كانوا على علم بقصة الحب الكبيرة التي جمعت بين (ريم) و(جواد) وأنهما سيتزوجان بعد عودته من اليونان..لكن (ريم) نفت أي صلة تربطها ب(جواد) و كذبت كل الأقاويل التي تؤكد حبهما ..

كل من يحاول الإتصال ب(جواد) يجد هاتفه مغلقا .. والشركة التي بعثته الى الجزيرة تستقبل الرسائل التي توجه إليه ليلقيها الموظف في مفكرة تقبع بدرج مكتبه لحين

إنتهاءه من العمل .. و(جواد) غارق حتى أذنيه في المشروع منفصلا في جزيرة مهجورة عن العالم والتكنولوجيا ..

هدأت العاصفة .. تقبل الكل الخطوبة التي حدثت دون سابق إنذار وبدأت التجهيزات للعرس الضخم الذي سيقام بعد شهر ..

قام (حيدر) بدهن شقته بأكثر لون تحبه خطيبته وذهبا معا لإختيار الأثاث حسب ذوقها ورغبتها ..

دمعت عينيها وهي تتذكر يوم كانت برفقة (جواد) في هذه الشقة .. أول مرة ترى فيها منزل (حيدر) وتأتي إليه من أجله .. من أجل الإهتمام به .. الأن تهتم به أخرى غيرها .. وتساءلت وهي تنظر الى ذكرياتهما معا في هذا المكان .. كيف إستطاع فعل هذا بها؟ كيف خدعها وتخلى عنها؟ ماذا عن النذر الذي قطعه على نفسه ؟ ماذا عن الوعود التي وعدها بها؟ ماذا عن الثقة والأحلام؟ هل كان رخيصا لهذا الحد أم كانت هي ساذجة جدا لتصدقه؟ لتصدق أن (ولاء) مجرد صديقة والكل يعرف بأنها حبيبته قبل قدوم (ريم) ؟ كيف طاوعه قلبه على خداعها ؟

إشترت (ريم) كل مستلزمات العروس إستعدادا لعرسها الذي لم يتبقى له سوى يومان ..

لاتذهبي

سقط قلم الرصاص من يد (جواد) على الأرض وهو يشرح لفريقه كيفية تصميم آخر خطوات المشروع .. أحس بغصة في حلقه وألم مفاجئ يقتحم قلبه ..

(ريم)..همسها بصوت خافت لايسمعه سواه و(ولاء) تنحني لإلتقاط القلم من الأرض لتعيده إليه ..

حاول تجاهل الأمر لكن وخزات قلبه المتتالية لم تتوقف قلبه يخبره بطريقة ما إنها ليست بخير .. إنه نسي تماما الإتصال بها منذ بداية عمله في هذا المشروع .. لقد سرقه الوقت تماما وغرق في العمل كما كان يفعل طوال سنوات عمره .. لم يكن في ذلك الوقت ثمة فتاة تنتظره على أحر من الجمر وعينيها تحسب الأيام وتتأمل عقارب الساعة .. لكن هذه المرة الأمر يختلف لأن حياته لم تعد ملكه لوحده ..

سأله أحد المهندسين بقلق :

_ هل أنت بخير يا باشمهندس ؟

رد عليه (جواد) وهو يهرول نحو العربة :

_ يجب أن أعود الى المدينة حالا ..

نظر إليه أعضاء فريقه بدهشة لأن الخروج من هذه الجزيرة يتطلب طائرة أو مركب .. لكن لاشئ يستعصي على (جواد) الذي إنطلق يقود العربة بأقصى سرعة الى حيث توجد مراكب العمال ليعود برفقتهم الى المدينة .. تاركا (ولاء) تبحث عن وسيلة للحاق به وهي تهاتف الشركة طالبة إرسال الطائرة لها .

إقتحم (جواد) مكتب الإستقبال وهو يسأل الموظف عن نتيجة البحث عن هاتفه .. لكنه رد بالنفي وهو يمد له هاتف جديد ومفكرة عليها كل تاريخ إتصال ورسالة له حملها وتوجه الى مكتبه ليقلب صفحاتها مسرعا .. وقد أحس كأنه في حلم وهو يقرأ تلك الرسائل .. قبل أن يتوقف أمام آخر رسالة من (وليد) صادرة صباح هذا اليوم ..

((جواد) أخبرتك عن خطبة (ريم) ولم تأتي؟ أخبرتك أن عرسها سيقام بعد شهر ولم تأتي؟ أخبرتك أن صديقك (حيدر) سيتزوجها ولم تأتي ؟ ماذا بك ياصديقي ألم تكن

هذه الفتاة هي حب حياتك؟ أخبرني ماذا يحدث فأنا لا أفهم هل أنت من تخليت عنها ل(حيدر) أم هي من تركتك لأجله ؟ ماذا فعلت لتكرهك الفتاة التي رفضت حب جميع الرجال لتبقى معك والتي سيتم عرسها على صديقنا بعد يومين؟)

لم يعرف (جواد) هل مايقرأه حقيقة أم خيال .. إنهمرت الدموع من عينيه وهو يضحك .. وكأنه في كابوس كبير .. (ريم) و(حيدر) .. مستحيل .. ذلك آخر رجل في الدنيا قد تفكر (ريم) في الإرتباط به .. لايعقل .. ثمة خطأ ما في هذه الرسالة .. ربما هي إحدي ألاعيب (وليد) .. لايمكن أن تفعل به (ريم) ذلك ؟ لايمكن أن تطعنه بظهره أو تغدر به ؟ كيف إستطاعت فعل ذلك .. ثمة خطأ في مكان ما .. (ريم) تحبه .. لايمكنها أن تفعل هذا به مهما كانت الضغوط .. لايمكنها ..لايمكنها.

لا أحد يدري كيف .. لكن (جواد) عاد الى أرض الوطن .. يحمل مفكرة بين يديه ويرتدي ثياب المهندسون الخاصة بموقع العمل .. لا أحد سيصدق أن هذا الذي يشبه المشردين هو الباشمهندس (جواد) ..

توجه من المطار مباشرة الى منزل صديقه (وليد) .. الذي فغر فاه دهشة عند رؤية صديقه في تلك الحالة ..

_ (جواد) .. هل أنت .. متي .. كيف .. من ..

غمره (وليد) والدموع تتساقط من عينيه وقد عجز عن الكلام ..

تسللت دموع (جواد) ساخنة على خديه وهو يقول :

_ ماهذه الرسائل .. أنت تمزح أليس كذلك؟

سحب (وليد) ذراعيه وهو ينظر الى صديقه من خلف الدموع قائلا :

_ لا أمزح ياصديقي .. ستتزوج بالفعل ..

تلك كانت آخر جملة سمعها (جواد) بعد أن أظلمت الدنيا في عينيه وغاب عن الوعي ..

عندما عاد إليه وعيه قرر الذهاب الى منزل(حيدر) للتأكد مما رواه (وليد) بعد أن خلع ثياب العمل وإرتدى من ثياب (وليد) وإستعار سيارته ..

لم تفارقه صور تلك الصداقة العميقة التي ربطته ب(حيدر) .. الصديق الذي لم يتخلى عنه يوما وظل يسانده ويغطي على أخطائه الفادحة من يوم معرفته به.

طلب (حيدر) من العمال الإنصراف وتركه بمفرده مع (جواد) الذي تجولت عينيه في التغيير الكامل الذي حدث في منزل (حيدر) ..

_ تفضل بالجلوس يا(جواد) .. متى حضرت ؟

_ لم آتي لأجلس .. أطلب منك شرحا لما حدث في غيابي؟

_ لست مجبرا على التبرير لك .. ماحدث قد حدث بوسعك سؤال (ريم) لقد وافقت على الزواج مني بملء إرادتها ..

_ دعك من (ريم) الأن .. ماحدث بيني وبينها أو ما سيحدث يخصنا وحدنا .. أنت صديقي يا(حيدر) .. صديقي الذي طالما وثقت به وإئتمنته على أهلي ومالي أنت أكثر شخص يعرفني ويعرف أخلاقي .. لا أدري كيف وصلت صور (ريم) للإنترنت لكن عليك أن تثق إنني لست الفاعل لأني هاتفي ضائع منذ أشهر ولا أعرف شيئا عن مكان وجوده وحتى إن وقع بين يدي أي أحد فلا أحد يعرف كلمة السر سوانا .. أنا وأنت و (ريم) ..

_ هل تتهمني بسرقة هاتفك ؟ يبدو بأنك قد جننت ؟

_ منذ البدء شعرت بأن هناك مؤامرة تحاك ضدي .. كان هاتفي أمام عيناي بعد أن تحدثت مع عائلتي و(ريم) لكنه إختفى فجأة وقد شعرت بالغرابة في ذلك الأمر لكنني أردت معرفة من وراءه لذلك إدعيت اللامبالاة .. ثم تسائلت لماذا ترسل الشركة (ولاء) لمساعدتي في مشروع لايستغرق مني سوى شهر أو أقل لإنجازه بمفردي ؟ لماذا تمنحنى الشركة اليونانية مشروع بوسع أي مهندس عبقري فيها إتمامه بسهولة .. في حين أنهم طلبوا مني إكماله في سنة كاملة بمبلغ لم أحلم به يوما وعرض مجزي بدخولي شريك في المشروع ..؟ لماذا تهتم بي (ولاء) التي يفترض بأنها مساعدتي الوهمية لا خادمتي وتلمح بقصة حب إنتهت بين الفينة والأخرى؟ لست غبيا لأتقاضى عن ألاعيبكما يا(حيدر) .. إن كان ثمة ذكي واحد في هذه الشركة وهذا الوقت الراهن فهو أنا ياصديقي .. أنا .. لايمكنكما اللعب علي لأني أفوقكما ذكاء ودهاء ..

_ لا أعرف عما تتحدث .. كل ما أعرفه هو أنك تخليت عن (ريم) بعد أن نشرت صورها وعدت الى حبيبتك السابقة ..

أطلق (جواد) ضحكة عالية وهو يقول :

_ لاتكن جبانا وواجهني بالحقيقة .. هنا أنا .. هنا (ريم) .. هنا الصور .. أين أنت من كل هذا ؟ كيف إقتحمت مثلث حبنا وحولته مربعا ..

_ أنا الصديق الذي ساندها وشفاها من جرحك لها .. أنا كل شئ حين لم تكن أنت بقربها ..

_ هذا واجبك كصديق لي .. أن تساند زوجة صديقك وتقف قربها لحين عودته ..

_ (ريم) .. ليست زوجتك ..

_ كنا سنتزوج وأنت تعلم ذلك ..

_ لا لم أكن أعلم .. لم تخبرني بذلك لكنت تركتها ..

_ الأن أخبرتك .. إتركها ..

_ فات الأوان .. عليك أن تتقبل الواقع ياصديقي لو كان بوسعي شئ لفعلته لأجلك ..

_ كان بوسعك إنتزاعها مني بطريقة أكثر شرفا مما فعلت ..؟

_ لم تكن هناك طريقة أخرى .. أتعلم شيئا دوما كنت أدري بأنك رجل أناني .. لم تترك لي يوما المجال .. دوما كنت تحتل المرتبة الأولى .. دوما كنت عبقريا وذكيا وناجحا وأنا في المؤخرة .. عندما نكون في مكان عام الكل يشير إليك وينحني لك إحتراما ويستشهد بعبقريتك وذكائك وأنت كنت تستمتع بدور القمر وتجعلنا نجوما ندور حول فلكك .. كنت تحظى بكل شئ الشهرة والنجاح وحب الناس لم تترك لنا المجال لنثبت لأحد بأننا هنا .. بأن مهندسون ناجحون بوسعنا تصميم المشاريع التي تستفرد بها أنت ومديرك .. حتى في الحب كنت تسرق منا قلوب من نحب .. حين إنضمام (ولاء) للشركة أعجبنا بها جميعا .. أنا وأنت و(وليد) حتى (عامر) الذي لم يكن متزوجا في ذلك الوقت .. كنا نحن الظلال وأنت الحقيقة .. لم تنتبه لوجودنا لأنك كنت موجودا .. وكأصدقاء لك تنحينا جانبا بموجب الشهامة والصداقة لنتركها لك .. وماذا فعلت ؟ للمرة الثانية وضعت أصدقائك في ذات الموقف .. نحن الظلال وأنت الحقيقة .. الفتاة التي تركناها لك من قبل تركتها لتلحق ب(ريم) وغدا ستترك (ريم) لتلحق غيرها ..

_ يااااا .. أتحمل لي كل هذا في قلبك ياصديقي .. لا أصدق حقا ما أسمعه ؟ (ولاء) تلك التي تتحدث عنها طاردتني كظلي .. كنت معجبا بكفاحها كمهندسة ورغبتها في التطوير .. مايميزني عنكم هو أنني أفكر بعقلي لا بقلبي .. أعجب بالكفاح وحب النجاح لا الشخص ذاته .. أنتم إنجرفتم وراء المظهر والجمال والأنوثة وأنا أنجرفت وراء المهندسة التي ترغب في النجاح ومددت لها يدي لتنجح وتنمي مهاراتها .. علاقتي بها كانت أقرب للعملية منها للرومانسية لكنها رغبت في علاقة أكبر من العمل

وغلطة عمري إني لم أكسر قلب أنثى أغرمت بي .. (ريم) إحساس آخر .. حبي لها بدء منذ وقت بعيد جدا .. إنها تشبهني وأنا أشبهها .. حبنا كان مقدرا أن نعيشه رغم رفضنا له وهروبنا منه .. قصتنا ضرب من الخيال يصعب تصديقها ..(ريم) هي روحي ياصديقي وأنا روحها أتوسلك ألا تسلب روحينا لأننا سنموت إن إفترقنا ..

_ لاتهول الأمور ياصديقي .. لو كانت روحك ما كنت نشرت صورها وشرفها على الملأ ..

_ أنت مهندس وأنا كذلك .. لنكن صريحين .. كلمة سر هاتفي من الصعب تفكيكها .. وأنت تعلم كما أعلم أنا أن كل الملفات على الهاتف ستمحو بعد إعادة برمجته .. أتذكر ذلك اليوم الذي أخذت فيه هاتفي قبل سفري الى اليونان وأخبرتك كلمة السر حينها .. في ذلك اليوم أنت نشرت شرف فتاة تدعي حبها لتتناقله كل الألسنة .. لو كنت رجلا تقاتل بشرف من أجل حبك لضحيت بحبي لك وباركت حبك لكن لهذا السبب أقسم بأني لن أترك (ريم) بين يديك القذرتين ياصديقي .. أعدك أن تدفع الثمن غاليا .. لتلك الجريمة التي إرتكبتها في حق الصديق الذي وثق بك .. والرجل الذي آواك في شركته وجعل منك مهندسا ناجحا ..

قال (جواد) ذلك وهو يخرج صافعا الباب خلفه ليترك (حيدر) ينظر بقلق الى الفراغ وهو يدرك إنه إنتزع الفريسة من بين فكي الأسد وتركه يزأر بغضب .. آخر ماتوقعه أن يكتشف (جواد) جريمته ..

الإنتقام

قاد (جواد) السيارة بغضب والغبار الذي تركه خلفه ملأ المكان .. أدار رقم هاتف (سوسن) وعندما سمع صوتها على الجانب الآخر ..

_ (سوسن) أنا (جواد) .. لقد عدت .

_ مرحبا بك ياعزيزي .. كنت أعلم بأنك ستأتي عاجلا أم آجلا ..

_ أحضري لي (ريما) يا(سوسن) .

_ الى أين ؟

_ لا أدري ..

_ تعال الى منزلي الجديد إنه فارغ ولم ننتقل إليه بعد سأحضرها إليه .

_ أنا ذاهب الى هناك .. لاتتأخري ..

من فرط إندهاشه وصدمته لم يعرف ماذا يفعل ..لم يستطع التركيز في فعل شئ .. توقف عقله وتعطلت كل المشاريع التي بين يدي ذلك الرجل الناجح وإنهار صرح القائد القوي بطعنة خنجر مسموم .

كان في عالم من التوهان وروحه تتمزق لرؤية صور (ريم) في كل مكان ..

بكى بشدة حتى جفت الدموع من مقلتيه وهو يحطم هاتفه قاذفا به الى الجدار ..

تمنى لو كانت له السلطة بإيقاف كل مواقع الإنترنت ومعاقبة كل من يتداول صور حبيبته أو غيرها ويساهم في نشرها ..

تمنى زمانا أخلاقيا يتذكر فيه المرء أخته عندما تصله صورة أخت أحدهم ويمحيها على الفور مستغفرا ربه .

عجزه عن فعل شئ يقيده .. ومقاطعته لكل وسائل العولمة لن تساهم في ستر جسد (ريم) الذي أُنتهكت حرمته على الملأ ومازالت تُنتهك ..

دموعه لن تغطي خصلات شعرها وقلبه الممزق لن يكون كساء فوق ثياب المنزل التي ينظر اليها كل فرد ويُعلق ..

صلواته ودعواته وإبتهالاته لن تمحي الخطأ الذي إقترفه لأنه وثق بمن حوله وسلمهم روحه.. شارف على الجنون وهو يعتصر عقله للتوصل الى طريقة في الإنتقام من القاتل الذي قتل كل شئ ..

كل شئ .. حبهما .. أحلامهما .. حياته وحياتها .. وتركهما أجسادا بلا حياة ..

وضعت (سوسن) مفتاح شقتها بيد (ريم) وهي تطلب منها الدخول قائلة :

_ سأجري مكالمة مهمة من السيارة وألحق بك .. هل يمكنك إنتظاري بالداخل ..؟

_ بالطبع .. خذي وقتك ولاتقلقي سأكون بخير ..

_ أثق بذلك ..

تركتها (سوسن) لتعود الى منزلها وهي تثق بأنها آخر أنثى في الكون يفكر (جواد) في إيذائها .. عليهما أن يتوصلا الى حل أو يفترقا ..

فتحت (ريم) الباب ودلفت الى منتصف الشقة وعينيها تتجول في منزل(سوسن) الذي صممته لنفسها .. وقعت عيناها على جريدة ملقاة بإهمال فوق الأريكة عليها الأبراج اليوميه وكعادتها شرعت في قراءة برجه .. برج الجوزاء الذي عشقته أكثر من برجها لإنتمائه إليه.

سمعت صوت إغلاق الباب خلفها وإلتفتت نحوه مستغربة إنهاء (سوسن) مكالمتها بهذه السرعة .. لكنها صعقت عند رؤيتها (جواد) ..

وقفا ينظران الى بعضهما بمشاعر مختلطة .. الشوق .. العتاب .. الخيانة .. الفراق .. اللقاء ..

قطع (جواد) المسافة التي تفصل بينهما وإرتمت(ريم) بين ذراعيه باكية وهي لاتصدق بأنه هنا .. وهمست:

_ حبيبي .. كم إشتقت إليك ..

_ حبيبتي .. إفتقدتك بشدة ..

_ لماذا تركتني ؟ كدت أموت من دونك .

_ كنت في دوامة قاسية ياحبيبتي .. حاولت الهرب لأعود إليكِ لكنهم خططوا لقتل حبنا ..

_ من هم ..؟

_ (حيدر)(ولاء) و ..

ودفعته بعيدا وقد تذكرت خيانته لها .. صورها .. علاقته ب(ولاء) .. زواجها .. كل شئ ..

إمتلأت عيناهما بالدموع الغزيرة ..

_ أنتي لاتصدقين مايُقال عني ؟ كيف ستتركين حبيبك وتتزوجين من رجل تكرهينه ؟

_ أنت تركتني أنا لم أتركك .. كنت أثق بك لكنك خنت ثقتي .. صوري يا(جواد) .. الصور الخاصة التي كنت أرسلها لك وحدك أتعلم أين هي الأن .. ؟

_ أتظنين بأني لا أتألم .. أنتي عرضي وشرفي يا(ريم) مايسئ إليك يسئ إلي .. كيف قد أفعل ذلك بك ؟

_ لقد فعلتها .. فعلتها يا(جواد) ..

وضع يده فوق المصحف قائلا :

_ أقسم لكي بأني لم أنشر صورك ولم أخن حبك وثقتك بي ..

_ لاتحلف باطلا يا(جواد) .. لا أحد يعلم كلمة سر هاتفك سوانا نحن الأثنان ..

_ هناك أحد آخر .. (حيدر) ..

_ أنت تكذب .. (حيدر) كان مصدوما مثلي .. حاول إزالتها من الإنترنت والمواقع .. (حيدر) وثق بي وساندني أين كنت أنت من كل هذا ؟.. حاولنا الإتصال بك لكن (ولاء) كانت تسمح لنا بالتصنت على أحاديثكما فقط دون الرد علينا ..

_ عن أي أحاديث تحكين ؟

_ أنت تعرف عن أي أحاديث أحكي .. كل لحظة جمعتكما معا .. كل مزحة وضحكة .. جد وهزل .. كنت أسمعها وأعيشها وكأنني معكما .. (ولاء) هي الفتاة التي يجب أن تقترن بها وليس أنا .. أتدري ماهو أكثر شئ جرحني وأنا أتنصت على أحاديثكما .. ؟

نظر إليها من خلف دموعه متسائلا وقد صدمه بشدة مافعلته (ولاء) به ..

_ حين ذكرتك (ولاء) بوعدك لها .. الوعد الذي أقسمت لها فيه بأن تزيحني من طريقكما .. بأنك إرتبطت بي لتضمن بقائكما في شركة والدي وليس لأنك تحبني .. لم تقل شيئا يا(جواد) ؟! لم تدافع عن نفسك وعني ؟ لم تنكر ماقالت .. كنت صامتا وهي قالت كل شئ ولم تعترض .. ما جرحني هو أني كنت صفقة من صفقات نجاحك يا(جواد) ..

_ لا يا(ريم) .. كل ذلك مؤامرة تحاك ضدي .. لاشئ بيني وبينها .. هي صديقة دعمتها في كل مشوارها العملي فقط .. أنتي الحب والحياة .. أنتي قلب (جواد) وروحه ..صدقيني ..

_ ماذا سأصدق بعد كل ماحدث ؟

_ أن حبنا برئ من كل تلك التهم والجميع أصدر حكم الإعدام على ذلك البرئ حتى أنتي ..

_ سأتزوج يا(جواد) ..

_ أنتي تحكمين علينا بالموت ؟ سيعاقبنا الله حتما على القسم الذي لم نوفي به والنذور التي سننقضها ..؟

_ علينا أن ندفع ثمن أخطائنا أمام الله والجميع ليمتنع العاشقون عن القسم والنذر في الحب ويدركون أن لا أمان فيه ؟

_ أتعجب كيف تقايضين حبنا بحياة مع رجل بلا شرف؟ عندما ترغبين في التخلي عني إختاري رجلا أفضل مني .. أكثر أمانة وكرامة وشرف .. إختاري رجلا يوازيني على أقل تقدير رجولة وهيبة لا ندل رخيص .. ألم يكن هذا ال(حيدر) أبغض شخص إليك من قبل .. هل أصبحت تحبينه بين ليلة وضحاها ؟ كنت تنتظرين فقط أن أترك لك المجال لترمي نفسك بين يديه ؟ من الخائن منا بربك ؟ إمنحيني سببا حقيقيا للزواج به وسأصدقك ؟ إن كنت أنا الخائن في نظرك .. أنا من نشر صورك .. أنا من إستغلك .. أنا من يحب تلك ال(ولاء) .. عاقبيني أنا .. ما الذي أقحم (حيدر) بيننا ؟ أجيبي ؟ لماذا تتزوجينه ؟ أنا لم أتزوج بعد لم أخنك بعد وأخطب الى أخرى في حفل تتحدث عنه كل المدينة ؟ لم أغدر بك وأنوي الزواج من أقرب صديقة لديك بعد يومين ؟ لماذا فعلتم كل هذا بي ؟ لماذا غرزتم خناجركم المسمومة في ظهري .. لماذا لم تملكوا الشجاعة لمواجهتي بدلا من الغدر بي .. حبيبتي وصديقي والفتاة التي بذلت جهدي لإيصالها الى النجاح إستغليتم خبرتي وموهبتي .. عطائي وحبي والأن ..

_ لن تخدعني بعد الأن .. سأتزوج وأتركك .

_ لاتتفاخري كثيرا بزواجك من ذلك الندل .. لأنني لن أسمح بحدوث هذا .. لن أتركك .. وعدتك يوما وسأفي بوعدي لك .. لن أتخلى عنك إلا يوم زفافك من غيري ما زال أمامنا وقت .. مازلت حبيبتي .. مازال حبي يملأ عينيك .. أزيحي كل هذه الشوائب وإنظري الى حبيبك .. مازلت أحارب لنكون معا فلا تخذليني .. لقد وعدتني .. إمنحيني فرصة وسأثبت لك إني على حق أرجوك .. أتوسلك ياحبيبتي ..

والته (ريم) ظهرها وخرجت .. دموعها ودموعه غسلا كل مافي القلب ..

.....

الثقة في الحب

في اليوم التالي قرر (جواد) الذهاب الى منزلها ..

إستقبلته والدتها بحفاوة وهي تقوده الى غرفة (ريم) التي لازمتها منذ الأمس ولم تكن تخرج منها أو تستقبل وتتحدث مع أحد ,لكن والدتها كانت تعرف طبيعة العلاقه التي تربط (جواد) ب(ريم) لذلك قادته الى غرفة إبنتها فور وصوله لأنها تعلم إنه الوحيد القادر على إخراجها من تلك الحالة .

كانت مستلقية على فراشها , وجهها شاحب كوجوه الموتى , عيناها جاحظتان وآثار الدموع مرسومة بوضوح على خديها .

ودمعت عينيه لتلك الحاله التي وصلت إليها , لم يراها من قبل تعيسة وذابلة كما هي اليوم .

جلس قرب قدميها على الفراش وهو يتنهد بألم قائلا :

_ (ريما) , ماالذي يمكنني قوله لكي ؟ إذا كنت أنا نفسي لاأصدق مايحدث معنا؟

كان ضائعا خائر القوى.. وكانت دموعها تنهمر بصمت وهي تنظر الى سقف الغرفه بين الوعي واللاوعي ..

_أقسم لك إنني لم أفعل ذلك ؟عليك أن تصدقيني لأن هذه هي الحقيقه , لم قد أفعل ذلك ونحن في غمرة تخطيطنا لإقامة عرسنا ؟ لا أدري كيف حدث هذا عقلي لايمكنه إستيعاب هذا الشئ ..لاأدري هل علي أن أعتذر عن خطأ لم أقترفه أم أتعجل بإقامة عرسنا ؟ أعلم أن الوقت ليس ملائما لمناقشة هذه الأمور لكنني سأحضر مع عائلتي مساء اليوم لطلب الزواج بك .

_ لن أتزوجك ..

قالتها (ريم) وهي تهز رأسها بأسى ودموعها تغرق الوساده .

_ أنتي لاتعنين ذلك ؟

_ لو كنت آخر رجل على ظهر الأرض لن أتزوجك إذهب ..فقط إذهب .

_ أنتي مجروحة الأن لذلك سنتحدث في وقت لاحق , لا أصدق حقا إنك تتهميني بعمل مشين مثل هذا رغم معرفتك العميقه لي , تعلمين أني أغار عليك من نسمة الهواء.

صرخت (ريم) بأعلى صوتها :

_ إذهب .

كانت تنظر إليه ولاتراه , عيناها غائبتان في بحر من الدموع وعينيه تتألم لألمها , كان يشعر بها وبكل ماتعانيه , يشعر بيأسها ووجعها وخوفها وضياعها, بأنها لن تصدقه بعد اليوم أبدا ولن تثق به .

شعر بمدى الحطام داخلها والبراكين الثائرة بقلبها , تمنى أن يخفف عنها ماتعانيه وتمنت البكاء على صدره لكن شيئا بينهما إنكسر والحب الذي جمعهما تم ذبحه كما تذبح الشاة على الملأ .

عشقا بعضهما فوق طاقة القلوب على التصديق .. والأن يسيران في الشوارع النازفة بين أرصفة الوحشة والصقيع .

إحساس لايوصف أن ترى شخصا أنت تحبه يتأذى بسكاكين الخيبة والخوف والأحزان .. وأنت عاجزا عن فعل شئ له .

تشعر أنك مقيد بإحكام ولاتستطيع حتى إخباره بمقدار ذلك الأذى الذي سيتعرض له .. لاتستطيع حمايته ولا الدفاع عنه .

لاتستطيع فعل شئ سوى الدعاء له من كل قلبك وأنت تراقبه بحزن .

تبكي لبكائه وتنجرح لجرحه الذي لايشعر به أحدا غيرك تعلم كم هي عزيزة عليه نفسه وكم هو فخور بها وبأخلاقه ومبادئه التي لم يتخطى حدودها أبدا .

تراقبه وقلبك يتقطر ألما لأنك أكثر قلب يعرفه في الحياة ويفهمه .

تلك كانت حالة (جواد) وهو ينظر الى (ريم) ترمي بنفسها في النار لتنتقم منها ومنه ومن حبهما .

ليس بالضرورة ان تكون عاشقا لتكتب عن الحب ..

ثمة قصص عشاق تولد وتموت أمامك ولاتملك سوى القلم لتعبر عنها ..

قلوب تعيش سعادة الحب وقلوب تعاني منه ..

قلوب تقاسي الحنين وأخرى تشتاق وتحتاج وتدعو ..

قلوب لم تفترق يوما رغم بعد المسافات والقدر والنصيب ..

قلوب لم يكتب لها أن تعيش معا وتلح على أن تعيش على حبها والذكريات ..

قلوب ترفض أن تنسى ..

وأخرى أغلقت أبوابها بعد رحيل من تحب ..

وفي الحب حكايا ..

لدي صديقة أيام الجامعة تحب أحدهم الى حد بعيد , لاتكف عن الحديث عنه ..

تسرد على مسامعنا طوال الوقت كيف التقت به لأول مره , كيف أحبته , الأشياء التي يحبها وتلك التي يكرهها ..

في أحد المرات سألتها ونحن نرتشف القهوة معا :

_ كيف تسير الأمور بينك وبينه؟

فرت دمعة من عينيها وهي تنظر بعيدا:

_ لا أدري ..

_ ماذا تعنين؟

_ أنا أحبه منذ وقت طويل لكنه لايهتم لأمر هذا الحب أحيانا أشعر به قريبا من قلبي وفي أحيان أخرى أشعر به غريبا ,نحن أصدقاء ,لايمكنني إخباره بحبي له , سأخسره إن فعلت ذلك .

_ ياإلهي إعتقدت إنكما على علاقة ؟ كيف لايمكنه الشعور بكل هذا الحب الذي تحملينه له ؟ لايمكنني تصديق ذلك؟

_ هو لايعلم بأنني أحبه .

_ لو كان يحبك لعلم بذلك .

_ هل تعنين بإنه لايحبني؟

_ يؤسفني قول ذلك لك .

تسللت الدموع من عينيها وهي تنظر إلي بنظرات ضائعة :

_ لكنني أحبه ,حاولت نسيانه ولم يطاوعني قلبي لايمكنني العيش من دونه ,بل أنا لم أتخيل كيف كانت حياتي من قبله ,ماذا أفعل؟

_ صارحيه بحبك .

_ إنه رجل شرقي ,لاأستطيع مصارحته ,سيقضي على قلبي ويذهب .

_ لن يفعل ذلك إن كان يحبك كما تحبينه .

_ سأموت إن رفض حبي .

_ جربيه ولن تخسري شيئا .

هكذا أخبرتها , لاح بصيص من الأمل على عينيها وهي تهمس:

_ سأخبره , سأنهي هذا العذاب الذي أعيشه .

وإفترقنا وقلبي يدعو لها ,لأنني أعلم كم هو صادق وعميق حبها له .

إلتقينا بعد عدة أيام , وسألتها بلهفة:

_ ماذا حدث ؟

_ لقد أخبرته , أرسلت له رسالة على الفيسبوك بعد تردد طويل , بعد أن كتبتها ومحوتها عشرات المرات ثم أرسلتها ويداي ترتعش وكل نبض بقلبي يهتف بي ألا أفعل, وتجاهلها , تجاهل رسالتي وتحدثنا كالأصدقاء وكأن شيئا لم يكن, لم يقبل حبي .

هوى قلبي بين قدماي وبكيت وكأن صاعقة قد هبطت علي من السماء وتجمدت كل أطرافي .

رأيت صديقتي لأول مرة تتحدث كشبح لاوجود له , رأيتها ذابلة وآثار البكاء مرتسمة بكل وضوح على وجهها .

_ لا لا أصدق ذلك , الشخص الذي تتحدثين عنه طوال الوقت لايمكنه فعل هذا بك .

جثت على الأرض وهي تبكيه بحرقة وتردد:

_ سأنساه , لاتبكي ,صدقيني سأنساه , أتوسلك يارب أن تنسيني إياه أتوسل إليك .

مرت السنوات وهي تقاتل بإستماته لتنساه لكنه كان يلوح من خلف حديثها وإبتسامتها الباهتة وقلبها الذي أقفل خلفه كل باب مؤدي للحب.

حينما ينكسر القلب ,لايعود حتما كما كان ..

خيانة ووداع

توجهت والدة (ريم) لفتح الباب ولاحت من خلفه فتاة جميلة أنيقة إبتسمت فور رؤيتها لها وهي تقول:

_ مرحبا خالتي ,أنا (ولاء) زميلة (ريم) بالشركة هل تذكرينني ؟

_ بالطبع ياإبنتي .

رحبت بها الأم بحرارة وهي تتقدمها الى غرفة (ريم) التي تفاجأت بقدومها وهي تقول في نفسها:

_ لم يكن ينقصني سوى هذه ..

ثم حيتها وهي تطلب منها الجلوس وتعدل من هندامها جالسة بدورها فوق فراشها .

_ كيف حالك الأن ؟ إعذريني يا(ريم) كان يفترض أن أتيك قبل مدة لكنك تدركين إننا كنا خارج البلاد ولم نحضر سوى بالأمس ..

ردت عليها (ريم) محاولة إكتشاف السر وراء تلك الطيبة المفاجئة :

_ لاعليك , أشكرك .

في هذه اللحظة أحضرت والدتها الضيافة ل(ولاء) وإستأذنتها لتكمل عملها بالمطبخ.

وفجأة إنهمرت الدموع من عيني (ولاء) وهي تمسك يد (ريم) قائلة بتوسل:

_ سامحيني أرجوك يا(ريم) , أنا السبب في كل ماحدث لك .

شلت المفاجأة حركة (ريم) وهي تنظر إليها مشدوهة وتمتمت :

_ أسامحك؟ لم أفهم ؟ ماذا تعنين؟

ظهرت آثار الحزن والتأثر على ملامح(ولاء) وهي تمسح دموعها قائلة:

_ قبل أن تأتي الى الشركة كنا أنا و(جواد) على علاقة عشنا أجمل قصة حب لايمكن لعقل تخيلها كان يفعل لأجلي كل شئ ويسعى جاهدا لإسعادي , ثم ظهرتي أنتي.. أخبرني حينها إنك تحبينه كان عاجزا تماما وهو يرى تعلقك به يزداد اليوم تلو الآخر , أخبرني إنه يعطف عليك وإنك قد تأذين نفسك إن تركك وهو ليس مستعدا بعد لخسارة منصبه بسبب إبنة مديره المجنونة الطائشة , والأن بعد أن وجد عملا أفضل

بالشركة اليونانية وإستقال من شركة والدك لايوجد مانخاف عليه أنا هنا لأعتذر عن كلانا بسبب أذيتنا لك .

نهضت وهي تعانقها بإعتذار وتذهب , وتتركها كالصنم بلا حراك .

أكاذيب أم حقيقة ؟

همست (ريم) وهي تقف أمام المرآة لتمسح آثار الدموع من عينيها وتشيع صورة من تحب :

_ تركتك لها فأنا أكبر من أن أتنافس مع أنثى على قلب رجل. . إن لم يكن بوسعك إبعادها عنك والإختيار بين كلينا فيسعدني حقا أن أرحل من قلب بكل هذا الضعف يسعدني جدا أن أرحل من حياة رجل لا أحتل المرتبة الأولى بها ..في هذا الطريق الطويل يبدو بأننا قد نفترق في مفترق طرق ما لأسباب لا أدري أهي واهية أم قوية لم تعد أنت من أعرف ولم تعد كسابق عهدي بك لاح الزيف وبدأت الأقنعة تتساقط من الوجوه .. مرحى بك يا(نيسان) فلقد جردت الوجوه على حقيقتها وبت أرى كل شئ بوضوح تام ..أتمنى من كل قلبي أن تعثر على السعادة التي ترجوها في مكان لا أوجد فيه أنا .. لكن تأكد بأن فرصتك قد إنتهت وصفحتك قد تمزقت من دفتر أيامي القادمة ولايوجد مابوسعه إعادتها الى سابق عهدها .. فقلبي أنا مثل البحر تماما لايمكن أن يتكرر به نفس الماء مرتين ,مثل الشمس لايمكنها أن تعود للخلف لتعوض يوما قد مر من عمرها على الأرض مهما كان جميلا .. اليوم سأمحيك من خارطة حياتي كأن لم تكن يوما بها .

وصل الوضع بين (جواد) و(ريم) لمرحلة لم يتوقعها أحد ..

لم يكن أمام (جواد) خيار آخر سوى الخضوع لأوامر الشركة اليونانية والتي قد تدينه وتزج به في السجن إن لم يعد الى اليونان لإكمال المشاريع التي تركها فجأة .

خرج من مكتب (عوض حسنين) الذي لم يكن يملك الحق في تلبية طلب من يعتبره إبنا له وسندا لأن إبنته التي يطلب (جواد) الزواج بها ستزف غدا الى(حيدر) .

كل الأبواب أوصدت أمام وجهه .. وهو يحمل القلم يخط إستقالته من الشركة التي أوصلها للقمة بمجهوده وتدريبه لأغلب مهندسيها وهو يعانق مديره وأستاذه ويتوجه الى مكتبه لأخذ أغراضه .

وقف(حيدر) قرب النافذة ينظر بسخرية الى الحالة التي وصل لها منافسه وصديقه .. ولم يتحدث (جواد) الذي أدرك أن دوره في هذه الشركه قد إنتهى .. لكنه لن يسمح لخصمه أن يتمتع برؤيته مهزوما وقرر تأكيد كل ما إتهموه به ومحاربة (حيدر) بذات السلاح ..

_ قل لي يا(حيدر) كيف ستعيش في منزل قضينا به أنا و(ريم) لحظات جميلة من قبل ..

صعق(حيدر) من حديث صديقه لكنه قال:

_ إن كنت تقول هذا لإستفزازي فلم تنجح .. أنا أعرف أن أخلاق(ريم) لن تتدنى لهذا المستوى ..

_ كف عن خداع نفسك (ريما) حبيبتي .. بمعنى إنها توجد في المكان الذي أوجد أنا فيه وشقتك كانت من ضمن تلك الأماكن ..

_ أعرف كم أنت موجوع .. لكن غدا زواجنا .. أنت مدعو ..

ضحك (جواد) ملء شدقيه وهو ينظر الى (حيدر) قائلا:

_ (ريم) ستتزوجك أنت ؟ لاتمزح يارجل.

ظهرت معالم الجدية على ملامح (حيدر) وهو يجلس على مكتب (ريم) قائلا :

_ أنا لا أمزح يا(جواد) , سنتزوج أنا و(ريم) كما سمعت , هي سعيدة معي لأنني كنت بجانبها يوم غدرت بها أنت , وقد وافقت على الزواج بي.

تغيرت ملامح (جواد) وكأنه أمام كابوس بشع:

_ لايمكنك إستغلال ضعفها يا(حيدر) , أنت تعرف إنني لم أغدر بها , تعرف إننا نحب بعضنا البعض وسنتزوج أيضا , لايمكنك فعل هذا بي ؟ أنت صديقي يا(حيدر) صديقي .

_ مافعلته بك لايسوى شيئا أمام مافعلته بها , أنت مخادع كبير.

_ أنت تعلم إنني لم أفعل شيئا .

_ لم أعد أصدقك ,ولم أعد أثق بأقوالك , عليك الإبتعاد عنها إن رغبت في رؤيتها سعيدة , (ريم) ستصبح زوجتي وأنا أحذرك من الإقتراب منها .

_ كان عليك مساندتها والتخفيف عنها ,لا إستغلال ضعفها يا(حيدر) , إنها تحبني ولايمكن أن تحب رجل غيري , هي لاتحبك , تفعل ذلك لتنتقم مني صدقني , لم تحبك يوما ولم يكن يعجبها فيك شيئا ,أنا من جعلتها تثق بك دوما وتعتبرك صديقا , طالما كنت أخي وصديقي , لقد فعلت الكثير لأجلك يا(حيدر) , لايمكنك أن تطعنني بظهري؟

_ أنا لم أطلب منك فعل شيئا لأجلي , كف عن إدعاء المثالية , وإن كنت تملك ذرة من الشهامة والكرامة إبتعد عن زوجتي لأنني سأقتلك إن علمت إنك تتواصل معها بأي طريقة من الطرق , أقسم بأني سأقتلك يا(جواد) وأهدر دمك .

ثم أضاف والشرر يتطاير من عينيه:

_ إنها شركة والد زوجتي وهي الوريثة الوحيدة له لذلك نحن نستغني عن خدماتك وأحب أن أطلعك على أمر من هذا اليوم وحتى موعد عرسنا إن سمعت فقط إنك حاولت رؤيتها أو التحدث إليها سيحدث لك فوق مايستطيع رجل مثلك تحمله.

_ لم أفهمك ؟ ماذا تعني ؟ ما الذي تعنيه ياحيدر ؟ .

_ حياتك العملية تلك التي كنت ستتزوج من (ريم) وتترك (ولاء) لأجلها ستنهار لأنني حينها سأخبر والد (ريم) حقيقتك وبالتفصيل , أخبره عن خداعك لإبنته وإستغلالك لها لأنها أحبتك ولم تقدر إرتباطك بأخرى لاتعلم شيئا عن وجودها في حياتك , أخبره إنك بعت لإبنته أوهاما من الحب حتى لاتتسبب في طردك من الشركة أو تحدث لك المشاكل .

_ لا ياصديقي أنت لاتعرفها , أنا أعرفها أكثر منك لو أخبرتها لكنت خسرت كل جهدي وتعبي وسهري لقد فعلت المستحيل لأكون ماعليه اليوم يا(حيدر) سهرت وتعبت ونضالت لأصل لتلك المكانه التي دفعت ثمنا لها راحتي وعمري وصحتي , فتاة تفرض عليك حبها دون مراعاة لشئ سوى مايريده قلبها هي لا قلبك أنت لن تفهم تلك التضحيات والمعاناة التي بذلها شخص مثلي ليحقق أحلامه في الحياة , لم أفعل أكثر من منحها الحب والسعاده اللذان رغبت بهما , لم أجرح قلبها بل القدر هو من فعل ذلك ,عليها أن تدرك يوما أن قصص الحب التي تقرأ عنها في رواياتها الحالمة لاتوجد خارج أسوار الكتب و قصص الخرافات , عليها أن تدرك أن الحب لاينتهي بالسعادة دوما , كنت أعلمها درسا في الحياة كما منحتها كل خبرتي في الهندسة لتصبح أقوى في مواجهة الحياة.

_ لقد إرتكبت جرما شنيعا بأنانيتك يا(جواد) , سرقت سعادة (وليد) ووضعت حبيبتك (ولاء) في أصعب إمتحان بحياتها ثم دمرت حياة (ريم),

_ أعرف ذلك ؟ لكنها لم تترك لي خيارا آخر , كنت بحاجة للمال لأنني أعيل أسرتي بعد أن كبر والدي ولم تعد صحته تتحمل العمل في الدكان ,منزلنا ومصاريف إخوتي وتكاليف علاج والدي لم أستطع ترك الشركة يا(حيدر) , أما هي فتركت كل رجال الأرض وتفرغت لملاحقتي , بربك قل لي ماذا ستفعل لو كنت مكاني؟

_ لأنني صديقك أعذرك يا(جواد) لكنك ستندم طوال عمرك لما فعلته بها.

_ وأتركك تتزوج أنت من إبنة المدير وتأخذ الجمل بما حمل حتى وأنت على يقين بأني كنت سأتزوجها , حسنا من مصلحتي أن تتناسى (ريم) آلامها حتى لو كان لبعض الوقت , قد تتمكن من إسعادها لكنك لن تحصل على قلبها وحبها لأنني أملكهما , ستراك صديقا مدى الحياة حتى لو تزوجتها وستراني حبيبا مدى الحياة حتى لو لم أتزوجها.

_ تذكر بأنني من كسب الرهان.

_ أنا لا أراهن على قلب هو في الأصل ملك لي منذ الأزل , هناك فرق كبير بين شخص يصارع من أجل تحقيق أحلامه ويتمرد للوصول إليها وشخص وجد كل أحلامه على طبق من ذهب الأول سيموت إن سلبت منه تلك الأحلام أما الثاني فلن يذرف دمعة واحدة عليها يا(حيدر), هذا هو الفرق بيني وبينكما .

_ ألا يكفيك قلب (ولاء) الذي ضحى بسعادته من أجلك؟

_ ماذا أفعل إن كانت أقوى قلوب العذارى تهوي صريعة أمامي ياصديقي , ثمة سؤال يلح على بشدة ياصديقي .. ماإحساسك وأنت ستتزوج من الفتاة التي قمت بنشر صورها على مواقع الإنترنت؟ رغم علمك مسبقا إنها ستصبح زوجة أقرب صديق لك ؟

وضحك بسخرية وهو يأخذ حقيبته ويغادر الشركة بعد أن ألقي نظرة أخيرة على مكتبه محاولا عدم إظهار ضعفة أمام من غدر به .

كان قلبه يتألم لأنه لايستطيع حتى التذلل لصديق عمره ليستجدي منه حبه الذي سرقه .

.....

صديقي

دع المواقف وحدها تكشف لك حقيقة الأشخاص وأقنعتهم لاتتسرع في الحكم على أحد أبدا ..

عندما تربطك علاقة بشخص معين لفترة من الزمن يمكنك الإحساس بتغيره وتقلباته , كما أحس (جواد) تماما بتغير (حيدر) عليه ونظراته تجاه (ريم) , بالرغم من صداقتهما كان (جواد) واعيا لتصرفات (حيدر) جيدا فهو لم يكن أبدا بتلك السذاجة والعفوية التي يتوقعها (حيدر) ,منذ بداية صداقتهما وهو يفهمه جيدا , يفهم كل تلك الأقنعة التي يضعها على وجهه الواحد تلو الآخر ويحسب في كل مرة ألف حساب لتلك الخناجر السامه التي يخفيها خلف ظهره ويظهر له بدلا عنها تلك الإبتسامة اللعوب وهو يتحين الفرص للإنقضاض عليه.

كان يعلم غيرته الشديدة منه ومن نجاحه مهما حاول إخفاء ذلك الأمر عنه لكنه كان يعامله بقلب طيب نقي ويفضله على نفسه في أحيان كثيرة على أمل أن تبدل معاملته الطيبة له وبياض نيته ذلك السواد الذي يحمله (حيدر) له .

بعيدا عن صداقتهما القوية والعميقة التي يشهد عليها الجميع , كان (جواد) يخاف غدره فغدر الصديق يؤدي الى مقتل , فكيف بصديق منحه كل هذا الحب والإخاء في الله وسانده في كل الظروف أن يضمر له كل ذلك الحقد والحسد بداخله وهو يدعي محبته وصداقته على الملأ .

هناك صداقة مرهونة بالنجاح والعمل , ولتحافظ عليها عليك أن تكون ناجحا على الدوام لأنك لو تراجعت خطوة واحدة لن تجد صديقا يلتفت الى الخلف لرؤية ماحدث لك أو يمد لك يده لتنهض إن سقطت .

أصدقاء النجاح جميلون ولاتظهر قباحتهم إلا عند الفشل فهم أول من يصفقون ويحتفلون بسقوطك قبل أن يواصلوا طريقهم نحو القمة.

علاقات من سراب

إرتدت (ريم) ثيابها وهي تخرج لرؤية (وليد) الذي ينتظرها على مسافة من المنزل داخل سيارته.

ألقت عليه التحية وهي تفتح الباب وتجلس على المقعد الأمامي جواره .

بعد فترة صمت لم تدم طويلا تحدث (وليد) قائلا:

_ (ريم) أعلم إنه ليس من حقي التدخل في حياتك الشخصية لكننا خَدعنا في حكمنا عليك , (ريم) صديقتي التي أعرفها لم تكن يوما هكذا , ما الذي تبدل فيها الأن لتتزوج من شخصا لاتحبه ألبته وتترك آخر عاش لأجلها وفوق كل ذلك تفرق بين صديقين , (جواد) لايستحق منك كل هذا الغدر نحن نعرف (حيدر) جيدا فهو رجل أناني ومغرور ولايؤمن بعلاقات الحب والصداقة لأسباب يعرفها وحده لكن مالم يتوقعه أحد أن تكوني أنتي مثله تماما .

لم تقل شيئا وهي تستمع إليه بصمت ناظرة بعينين حزينتين من خلف زجاج السيارة الى ذلك السراب والضباب الذي يغطي وجوه البشر ذات الأقنعة المتعددة.

_ (ريم) أنتي فخر لذلك الرجل الذي تحبين .. تحافظين على قلبك ومشاعرك ونفسك من أجل حبيبك ولاترى عينيك في الدنيا سواه , كم تمنيت لو كنت أنا ذلك الشخص .. أنتي فتاة واضحة وصريحة لاتقبل القسمة على أثنين .. وهذا ماجعلني أنسحب لأن حبي لن يجد مكانا بقلب مثل قلبك لايسكنه غير رجل واحد , كنت أحبك أعترف بذلك , لم يحمل لكي أحدا تلك المشاعر التي حملتها لك على الدوام , كنت على إستعداد لفعل أي شئ لقد تغيرت من أجلك وتغيرت نظرتي للفتيات جميعا بعد لقائي بك , لكنك الأن تثبتين لي إنني كنت على حق , فأنتن لاتهمكن المشاعر الصادقة ولا الحب لأن المال والثروة تشتري أجملكن وأكثركن فضيلة وإيمان.

_ لم لم تخبرني من قبل إنك تحبني؟ لماذا تقول لي ذلك الأن بعد أن تزوجت بأخرى؟ أنت أكثر شخص قريب مني أنت صديقي الوحيد يا(وليد) الذي أثق به وأحترمه؟ كان عليك إخباري بدلا عن الإبتعاد عني وتركي له .. غريبا أمر العلاقة التي تجمع بينكم صداقتكم تبدو جميلة للغاية , أنت تركتني له وتزوجت وهو لم يجد خيارا سوى أن يحبني , (ولاء) ساندت حبيبها في كل خططه , و(حيدر) الذي تلقون عليه اللوم دائما أصبح عدوا لأصدقائه حتى يحميني, أي منكم علي أن أصدق؟

ثم فتحت الباب وتركته يحاول جاهدا فهم كلماتها وهي تتوجه بخطى متثاقلة نحو المنزل.

.....

رحيل

على طاولة الغداء قال والد(ريم):

_ مساء اليوم لدينا حفل صغير في الشركة لتوديع (جواد) .

سألت والدتها بحيرة :

_ جواد ؟ لماذا ؟ .

قال وهو يحشو الطعام الى فمه دون أن يرفع بصره إليها :

_ سيغادرنا الى اليونان لأنه وجد عملا أفضل وأصبح شريكا في أفضل الشركات العالمية .

ثم أضاف بحزن :

_ سأفتقده كثيرا ,أنا أعتبره إبني وأعتمد عليه في كل شئ لكن ماذا أفعل ؟ سأتركه يذهب من أجل مستقبله وقلبي يدعو له في كل لحظة .

حاولت أن تتجاهل دقات قلبها التي تسارعت عند ذكر إسمه وهي تركز على صحن الطعام الذي أمامها قائلة:

_ أنا هنا يا أبي لن أتركك وسأحرص على أن تكون شركتك الأولى عالميا .

ضحك والديها وأمها تربت على يدها وهي تقول بحنان:

_ أجل إبنتنا مهندسة عبقرية ولن تدعك تشعر بغياب (جواد) , ستصلان معا لكل ماتحلمان به .

رد (عوض) وهو ينظر الى إبنته التى لم يخفى عليه حبها الكبير ل(جواد) :

_ أنا أثق بمقدرات إبنتي الخارقة كما أثق بمقدراته فقد نقل إليها كل خبرته وعلمها في المهنة مالم يكن لدي الوقت لتعليمها إياه , لذلك ستفتقده إبنتي أيضا كما نفتقده جميعا .

ردت على والدها متظاهرة المرح والإرتياح:

_ لا لن أفتقده مثلكم يا أبي ,فأنا سعيدة لأن منافسي الوحيد بقلب والدي وشركته سيترك لي المجال والمرتبة الأولى وينسحب .. لذلك سأذهب لحضور الحفل .

ثم أضافت وهي تنهض مغادرة طاولة الطعام:

_ الحمدلله , سأذهب لإحضار الشاي.

الكبرياء يتحطم

إرتدت فستانها الأصفر مع قرط ذهبي لامع, بدت عيناها الواسعتان تحيط بهما الهالات السوداء وبقليل من أدوات التجميل أخفت إنتفاخ جفنيها ولونت وجهها الشاحب وشفتيها بلمسات وردية ودون أن تعي جعلها هذا المكياج أكثر جمالا وجاذبية .

ذلك الفستان الذي طالما أحبه(جواد) لأنه يضفي عليها أضعاف جمالها حتى يعجز الناظر إليها عن إشاحة بصره عنها.

توجهت مع والدها الى الشركة حيث يقام الحفل بإحدي قاعاتها .

كانت القاعة مكتظة بالحضور أغلبهم من الوسط الهندسي إضافة الى الزملاء بالشركة وأسرهم.

هناك (وليد) وزوجته يقفان في ركن قصي وكل منهما يمسك كوبا بيده , ثم (عامر) الذي يحاول جعل زوجته تخفض من صوت ضحكها ربما بسبب مزحة من مزحاته. على مقربة منهما (سوسن) وولديها وزوجها.

وسط جمع من أصدقائه مهندسي المدنية والميكانيكا وقف (جواد) يتجاذب معهم أطراف الحديث وكعادته بدا أنيقا مختلفا عن أي رجل آخر في هذه القاعة .

ووقع بصره عليها وهي تقف برفقة (حيدر) قرب النافذة فتوجه نحوها بعد أن حمل كوب عصيرها المفضل بيده.

_ مرحبا .

نظرا إليه ببرود قبل أن يردا على تحيته , مد إليها كوب العصير قائلا :

_ أحضرت عصيرك المفضل.

عكس كل توقعاته أخذت منه الكوب وهي تبتسم إبتسامة عريضة أبرزت أسنانها الناصعة البياض وتقول ببرود قاتل:

_ يبدو أن الخدم مشغولين لذلك تتولى أنت الخدمة في الحفل الخاص بك , رجاءا إحضر لي كوبا من الماء البارد .

وواصلا حديثهما هي و(حيدر) وكأن شيئا لم يكن , وقبل أن يتمكن هو من فعل شئ وقف أحد أصدقائه أمامه وهو يقوده معه الى حيث توجد باقي المجموعة.

مر الوقت وغادر أغلب الحضور بمن فيهم والدها .

.....

تجاهلت(ريم) نظرات(جواد) المليئة بالغضب تارة والإعتذار والرجاء تارة أخرى .. تمنت لو كان بوسعها أن تسامحه أو تصدق تلك النظرات في عينيه .. لم تعد تفرق بين الكذب والحقيقة فيه .. فحتى عينيه وقلبه كانا شريكان في قصة خداعه لها .

جلس قرب (ولاء)على تلك الطاولة بالقرب من الباب منعت (ريم) نفسها من متابعة ضحكاته وحديثه الناعم مع (ولاء) ..وهي تتمعن في النظر إليهما .. الى حديثه معها ونظراته إليها.. وتسائلت .. أيحادث (ولاء) بتلك الطريقة التي يحادثها بها ؟ أينظر إلى (ولاء) تلك النظرات التي ينظر بها إليها؟ أيحبها بتلك الطريقة التي أحبها بها ؟ أم أن حبه لتلك أكبر من حبه لها ؟ هذا إن كان قد أحبها بالفعل كما يدعي ؟ كيف إستطاع أن يكون صادقا معها كل ذلك الصدق وقادرا على أن يحب (ولاء) كل ذلك الحب الذي يتحدث عنه الجميع ؟

قطع عليها (حيدر) خيط تساؤلاتها وهو يهمس في أذنها بتودد:

_ أحبك ..

نظرت إليه وهي تحاول رسم إبتسامة على شفتيها بينما إسترسل قائلا :

_ لا أصدق إننا سنتزوج غدا , كيف يمكنني وصف سعادتي بك , أعدك أن تكوني أسعد إمرأة على وجه الأرض يا(ريم) .. الأن أجزم لك أن (جواد) بات في عداد الموتى , فهو قد يحتمل كل ألم في الحياة إلا ألم غدر الصديق وأنا غدرت به لأحقق لك إنتقامك ياسيدتي الجميلة .

لاحظت (ولاء) شروده عنها ومحاصرته ل(ريم) بنظراته حتى وهو جالس معها على نفس الطاوله .

وضاقت ذرعا من إهتمامه ب(ريم) , فقالت بغضب:

_ (جواد) , أنا لا أفهمك كل شئ إنتهى الأن لماذا تنظر إليها وتهتم بها.

قال وقد ضاقت عيناه غيرة وكرها من نظرات (حيدر) الوقحة الجريئة ل(ريم) :

_ ذلك الوغد , ألا ترينه كيف ينظر إليها ؟ ماذا سيفعل إن لم يكن سيتزوجها غدا ؟

_ ما الذي يهمك أنت دعهما وشأنهما أنت لست وصيا عليها .

مسح عينيه بيديه وهو يقول بنبرة ضائعة وصوت مخنوق :

_ بالطبع , سأخرج لبعض الوقت الجو هنا يخنقني .

شيعته (ولاء) بنظراتها وهي تتنهد بحرقة محدثة نفسها:

_ كم أنت أناني .. بعد كل مافعلته وضحيت به حتى لا أخسرك مازلت تفكر فيها .

وألقت نظرة على (ريم) التي ظلت عيناها معلقة بالباب الذي خرج منه (جواد) للتو .

خرجت (ولاء) في إثره لتصل معه الى إتفاق عادل يحدد طبيعة العلاقة بينهما .

وجدته يقف خارجا وهو ينفث دخان سيجارته في الهواء وتملكتها الدهشة وهي تصيح به :

_ جواد .. ماهذا؟

فاق من شروده على صوتها وقد عرف ماتعنيه بسؤالها فرد عليها ببساطة:

_ سيجارة .

_ لكنك لاتدخن ؟

_ والأن تغيرت .

_ هذا مستحيل , لقد أحببتك لأنك لاتتعاطى أي نوع من المكيفات , عليك أن تتركها حالا ..

_ إذا أنتي لم تحبينني في الأصل , لن أتركها لأنك ترغبين في ذلك , سأتركها برغبتي أنا .

_ لو طلبت منك (ريم) ذلك الطلب لكنت وافقت فورا؟

_ لو طلبت(ريم) لكنت لبيت رغبتها على الفور , لايمكنكما أنت و(حيدر) الشعور بمدى الجرح الذي سببتماه لنا والحطام الذي تغرق فيه(ريم) , يمكنني رؤية عمق الألم والعذاب الذي تعيشه بنظرة واحدة الى عينيها , بالرغم من الصمود واللامبالاة التي ترينها بها أنا فقط من يدرك إنها قد تسقط مغشيا عليها في أي لحظة ألايمكنك رؤية الإرهاق وشبح الدموع حول عينيها؟ لن تخدعني بتلك الألوان التي تغطي وجهها

الفرق بينكما إنها تفهمني حتى في لحظات صمتي واليوم بعد كل ماحدث تعرف الحالة التي أعيشها ورغم صعوبة غفرانها لي إلا إنها تحبني بعمق بعيدا عن الشروط والحصار الذي تفرضينه أنتي علي .

_ الأن باتت تفهمك وتحبك أكثر مني ؟ ألم تدرك ذلك من بداية الأمر ؟ أتعتبر غيرتي وحبي حصارا ؟ لقد تحملت فوق طاقتي وجودك معها وعلاقتك بها تلك التي أقسمت لي إنها وهمية وأعطيتني ألف سبب لبقائك معها والأن أين تلك الوعود التي وعدتني بها ؟ الأن أنت لست مجبرا للبقاء معها حفاظا على منصبك ومستقبلك؟ ماذا حدث لك يا(جواد)؟

في تلك اللحظة خرج (حيدر) واضعا يده على خصر (ريم) وعند رؤيته لهما يتشاجران أمام الباب همس شيئا في أذن (ريم) وإنفجر بالضحك ناظرا بسخرية إليهما .

رمى (جواد) سيجارته وهو يدهسها بمقدمة حذائه ثم لحق بهما ليجذب (حيدر) من يده ويوجه إليه لكمات متتاليه على وجهه وهو يقول:

_ إياك أن تضع يدك القذرة عليها مرة أخرى وإلا كسرتها لك أيها السافل الحقير .

وشد (ريم) من يدها خلفه الى خارج الشركة وسط الذهول الذي سيطر على (حيدر) و(ولاء) التي لم تتمكن من إستيعاب مايحدث .

سارا معا في الطريق الطويل المؤدي الى بوابة الشركة وقد تناثرت النجوم المضيئة على صفحة السماء لم يكن هناك مايتحدثان عنه , فهي باتت تعلم عنه كل شئ وهو يعلم إنها ستتزوج في الغد , إذا في أي شئ يتحدثان وقد أجبرتهما الظروف على الصمت .. فلا هو قادر على الكلام ولا هي ..

طال الصمت بينهما .. وعيناهما هاربة مع الأفق البعيد..

قال متأملا ملامح وجهها بحب :

_ مازلت أحبك أقسم لك ,(ريم) لقد أخطأت لكن لم تعاقبيني بتلك القسوة ؟ لم تتزوجين من الشخص الذي لم تتقبلينه يوما كصديق حتى ؟ لقد أحببتك من أول يوم رأيتك فيه .. كل شئ تغير في حياتي بعد أن تعرفت عليك عن كثب .. وجدت معك سعادة وأمانا لم أجد مثيلا لهما ..وجدت معك حبا لم أكن أحلم به يوما عشقتك وتخطيت كل الحدود التي وضعتها لنفسي ومستقبلي .. كل ماعشته معك لم يكن وهما ولا كذبا كان حقيقة ..صدقيني..

تسللت الدموع من عينيه وهو يجثو على ركبتيه ممسكا بيديها :

_ إنظري إلي جيدا لايمكنه أن يحبك كما أحبك أنا, لقد قطعتي لي وعدا بألا تتخلي عني فلماذا تفعلين ذلك بسبب خطأ دفعت ثمنه آلاف المرات (ولاء) كانت بالنسبة لي صديقة أقرب منها حبيبة لذلك لم أخبرك عن علاقتي بها , لم يكن من السهل علي العيش مع عذاب الضمير الذي عشته, رغبت مرارا بمصراحتك بالحقيقة لكنني كنت أتراجع وتأبى الكلمات على مفارقة حنجرتي خفت كثيرا أن أفقدك إفعلي بي ماشئت لكن لايحق لك تجاهل ذلك النذر الذي نذرته لى , لايمكنك إرتكاب تلك الخطيئة ,طالما حذرتني من(حيدر) ولم ترغبي في التعامل معه , كيف ستتزوجين به وتعاقبيننا بهذه القسوة عودي إلي .. أعدك ألا أخذلك مرة أخرى أو أجرحك .

_ الأن بات بإمكاني إكمال الرواية , لأن بطلي الحقيقي قد مات .

سحبت (ريم) يديها وهي تتوجه الى الخارج , عجزت عن تصديقه .. عجزت عن تصديق دموعه وكلماته مرة أخرى ..قلبها لم يعد يعرف إن كان هذا المنكسر أمامها يدعي الحقيقة والصدق وكل تلك الفضائل التي رأتها بأم عينها أم إنه صادقا .

إن كان هذا الذي يترجاها هو ذلك الرجل نفسه الذي يشهد كل من عرفه على قوة إيمانه وصفاته ومبادئه الحسنة أم هو شخص آخر مناقض تماما لمن عرفته .

باتت تكذب عينيها لتلك الأوقات التي رأته فيها يصلي بكل خشوع , باتت تكذب عينيها لكل تلك الأوقات التي رأته فيها يبلل المصحف بدموعه ..فكيف برجل منافق مثله أن يكون تقيا مؤمنا .

تعالي معي

قبل سفر(جواد) أتى لتوديع(ريم) في المنزل ..

لم يكن به أحد سواها عند حضوره فقد ذهب والديها لإكمال آخر طقوس العرس.

نظرا الى بعضهما في حديث صامت ممزوجا بالدموع .

أمسك الباب بيده قبل أن تهم بإغلاقه في وجهه وهو يدخل ويغلقه خلفه .

_ ريم

_ ماذا تريد ؟

_ أريدك أن تسافري معي ؟ دعينا نذهب بعيدا .

_ أخرج من منزلي .

_ كيف ستتزوجين من رجل لاتحبينه ؟

_ لأقدم التعاسة لرجل أحببته طوال عمري .

_ لايمكنك فعل هذا بي ؟

_ بلى يمكنني ..

_ هذا ليس عدلا ..

_ ومافعلته بي .. هل كان عدلا ؟

_ أنا لا أقوى على فراقك .. أقسم لك إنني أضعف من أن أتحمل كل هذا صدقيني .. لا أشعر بالإستقرار منذ أن إفترقنا .. الحزن الأكبر في أيامي يعود إليك الى حبي لك وإبتعادك عني أنتي الشخص الوحيد الذي أحببته ووثقت به لكنك تتركينني وتبتعدين عني دون أي أسباب واضحة مما أنتي غاضبة يا(ريم) ؟ من الصور التي نشرها (حيدر) دون علمي أم من علاقتي ب(ولاء) التي لم أحبها يوما .

_ أنا غاضبة من نفسي , من حبي لك , غاضبة من كل هذه الحياة ومنك , أنا أكرهك يا(جواد) أكرهك .

_ لايمكن أن يتحول الحب الى كراهية .. مازلت في كل دقة من دقات قلبك .

_ كيف وقد جرحت القلب الذي مازلت في كل دقة من دقاته , شعوري نحوك اليوم مقت وكراهية لاحدود لهما.

_ لو كنت تحبيني مقدار ذلك الحب الذي أحبك إياه ماتركتني .. لكن الحقيقة أن حبك كان مجرد كلمات ووعود وأمنيات حالمة في دفتر مزين بالورود تلوته على مسامعي ذات يوم ثم وضعته في سلة المهملات وواصلت حياتك كأن شيئا لم يكن .. وصلت الى قناعة بأنك لم تعشقيني كما توهمت بل كنت تجربة عابرة تختبرين بها مدى جاذبيتك وتأثيرك على قلبي وحين تأكدت بقدرتك على عدم رفضي لك وتوقف قلبي بعدك ذهبت تبحثين عن الثروة .. إذا مافائدة حياتي إن كنت تكرهيني بهذا القدر , أشعر بأني شخص متسول على هامش الحياة , ضائع ومشرد .

أكمل (جواد) جملته وهو يتوجه ليأخذ سكينا تقبع فوق طبق الفواكه .

هو يعلم أنها لن تسمح له بإيذاء نفسه .. بأنها سترتمي بين أحضانه عند رؤيتها للسكين في يده متناسية كل الخلافات بينهما .

مرر السكين على باطن يده اليمنى وبدأ الدم يتقاطر على الأرض وهما واقفان ينظران الى بعضهما .

_ لا أستطيع أن أحبك كالسابق , الدماء مازالت تغطي قلبي يا(جواد) والجرح مازال يأن , تخطيت كل العقبات في حياتي لكنني لم أتمكن من النهوض من بئر الخداع والوجع الذي رميتني به , ضاعت مني نفسي في مكان ما , مات قلبي بين يديك وعقلي أصابه الجنون بعد أن دفن جثمان ذلك القلب الجريح , الأن أنا شخصا آخر , غريبة عن (ريم) ولا أدري من أنا ؟ إذهب يا(جواد) فحبيبتك التي جئت بحثا عنها ليست في هذا المنزل , ربما قد تجدها في مقبرة ما .

تساقطت دموعه وهو يعيد السكين الى مكانها فتلك التي تقف أمامه ليست محبوبته التي تتلوى ألما عندما يكون حزينا , فكيف تنظر بجمود الى الدم المنهمر من يده دون أن يرف لها جفن ؟

بعد خروجه أغلقت (ريم) الباب وهي تستند عليه باكية.

تقطع قلبها عند رؤيتها للدم ينزف من جرحه ..

لقد جرح يده لكنها هي من تأذت .. وأمسكت السكين بيد مرتجفة , مازالت آثار دمه عليها ..

وضعتها على نفس المكان الذي جُرح فيه وإنتفضت بألم والدماء تتفجر من يدها والسكين تسقط على الأرض .

سمعت طرقا عنيفا على الباب وصوته ينادي :

_ ريما .. ريما .. هل أنتي بخير ؟ .. إفتحي الباب لن أذهب قبل أن أطمئن عليك .. ريما .

خبأت يدها النازفة خلف ظهرها وهي تفتح له الباب.

لم يكن أقل تعبا وعذابا منها وهو يضغط على جرحه بيده اليسرى لإيقاف نزيفه.

تعانقت عيناهما وهي تهمس :

_ نعم .

إنتبه (جواد) ليدها المخبئة خلف ظهرها وقال :

_ أردت توديعك , أقلها صافحيني قبل أن نفترق .

مد يده بإنتظارها .. إرتجف قلبها لحجم الدماء التي بها وإنهمرت دموعهما بغزارة ويدها تحتضن يده في حب.

_ لماذا يا(ريم) ؟ أنا أستحق أكثر من هذا الجرح لكنني لن أسمح لأي شخص بأذيتك حتى لو كنت أنا .

_ مافعلته بقلبي أكثر إيلاما مما أعانيه الأن يا(جواد) .

تعانق الجرحان وإختلطت الدماء ببعضها لمواساة القلوب الممزقة التي تصارع بكبرياء وإفترقا .

آخر الرسائل

" الحياة تأخذنا الى أبعد ممانتوقع ننجرف بعيدا عن البعض يوما تلو الآخر .

تتحطم أحلامنا وترسو سُفن أمنياتنا على بر السراب الحياة لم تكن كما نريدها دوما .

أثبتت لنا مرات عديدة إنها الأقوى وإننا لاشئ أمام جبروت القدر .

خارت القوى وتلاشى الأمل منهزما يجرجر أذيال خيبتنا وعار ضعفنا .

لم أتوقع يوما أن هذه ستكون النهاية ..

نهاية حبي لك التي قاسمتها الروح والأنفاس وعانقتها بقوة بين أضلُعي حتى لاترحل يوما وتتركني وحيدا .

اليوم ها أنا أراك تبتعدين .. أودع قلبي معك وأنتحب الذكرى والشجن ..

ها أنا اليوم أتلحف ثوب جرحي وأنادي على أنفاسي الساقطة في أعماق الجُب .. أنادي عليكَ بين الضباب وبين العويل ..

ها أنا اليوم أسقط جريحا في صحراء الموت بلا أنيس وأنتي على مقربة منى تنزفين .. أمد يدي اليك فلا تريها كيف ترى عينيك غيري يساندها ولاترى يداي المشرعتان لعناقك ؟

كيف تتركين جنتي وترمي بنفسك في أحضان الجحيم وتناديني لأشاهد تلك المسرحية التي أسدلت أنتي عليها ستار النهاية ..

كيف تفعلين بنا هذا ؟ أتدفنين حُبنا وهو لايزال يتنفس لتُرضي إنتقامك ؟

أعلم أني المتهم الرئيسي في قضيتك لكن إمنحيني الفرصة كي ادافع عني ولو قليلا .

كل ما أريده أن تستمعي إلي .. أن تلتمسي لي الأعذار أن تسامحيني كما تفعلي مع الأخرين .

أعلم أن الصور كانت على هاتفي وأنا أتحمل كافة المسئوليات عنها إمسحي ذنبُها وذنبك على وجهي وأغفري لي .. إن كان رب الكون يغفر فمن أنتي حتى تنصبين محكمة وتحكمين علي وعلى حياتي بالدمار..

أغفري لي لأتمكن من الغفران لنفسي ذات يوم ..

إمنحيني هذا الحق من أجل حُبنا ومن أجل كل اللحظات الجميلة التي قضيناها معا .. من أجل كل مافعلته لآراك سعيدة وأحملك على أجنحة الراحة ..

لاتبعديني عنك بكل هذه القسوة وتحطمين قلبينا لاتتسرعي وتتهربي من الحلول الممكنة مازال أمامنا طريق آخر مازلت أحبك ومازلت تحبيني .. الحب الذي يربط بيننا سيجعلنا نتخطى كل عقبات الحياة فلاتكوني أنتي العقبة التي هزمت حبنا ..

أستطيع أن أحارب كل العالم من أجلنا لو كنتي معي لكنني منهارا أمام محاربتك لي ولأحلامنا وحبنا .

هذه أول مرة أشعر بالعجز والضعف .. أول مرة أشعر فيها بأني في منتصف الطريق لست قادرا على العودة الى نقطة البداية ولاقادرا على مواصلة الطريق .

ستتزوجين اليوم و .. سأغادر هذه المدينة اليوم ..

لن نلتقي .. هل تشعرين بذلك .. لن نلتقي ..

هل ستتمكنين من العيش بعيدا عني وعن حبنا ؟

هل حققت إنتصارك وأعدت الطمأنينة الى روحك التائهة ؟ هل ستنسيني مع ذلك السمين (أبوكرش) كما تقولين عنه ؟ هل ستنسين منزلنا الدافئ وتسكنين بمنزله الفاخر؟

أنا أعتذر .. أعتذر عن كل شئ تريدين مني الإعتذار عليه حبيبتي .. فهل ستعودين يوما إلي ؟

سأنتظرك ولو بعد ألف عام ..

في أي وقت تحتاجين فيه إلي سأكون في هذا العالم لأجل أنثى واحدة هي أنت ..

عندما ينتهي إنتقامك مني وتصفو سماء حبنا ستجدين فارسك النبيل يعد الأيام والسنوات لتأتي فتاة أحلامه إليه ثقي بذلك دائما ..

ستكونين اليوم عروسا .. آه منك يا(ريما) .. كم ستكونين جميلة في ذلك الفستان الأبيض كما عهدتك دوما وستُبهرين الجميع .. أغار عليك من أعينهم .. أغار كثيرا يا(ريما) أغار كثيرا ..

أدعو على كل من تنظر عينيه اليك من الرجال ..

أتخيل إبتسامتك الساحرة ومشيتك .. ثم ألعن كل من تسول له نفسه بالإقتراب منك ..

أخبريني ماذا سأفعل اليوم مع كل هذه التخيلات التي تملأ رأسي ؟

اليوم يوم موتي .. اليوم يوم زفافك ..

أخبريني ماذا أفعل ؟

جواد "

بطل من ورق

نظرت الى صفحات دفترها الوردي وحملت قلمها لتسبح بعيدا بين النجوم .

" لايمر علي يوم دون أن أتذكرك فيه ..

دون أن ألقي تحية الصباح والمساء على صورتك ب(ألبوم صوري) ..

دون أن أتفقد صفحتك على الفيس بوك وأتابع كل جديد فيها ..

لم نعد كالسابق .. ولم يعد لحبنا وجود على خارطة الأرض .. ذات وسائل التواصل الإجتماعي والعولمة التي فرقتنا يوما .. تجمعنا طوال الوقت ..

مشكلة العولمة في بلادنا هذه إننا نسيئ إستخدامها بدلا من الإستفاده منها ..

لايعني إرسال صوري إليك إنني فتاة سافلة أو متحررة كان فقط لأنني أحببتك كرجل نبيل .. ووثقت بك .. فأنت من كنت سأقضي عمري كله برفقته ..

إن لم يكن يمكنني الوثوق بك ..فبمن أثق ؟

نفس العولمة التي قربت بيننا أول مرة وربطت بين قلبينا معا تسببت في إنفصالنا ..

ثمة فتيات لاحصر لهن يُرسلن صورهن لمن يُحببن .. والعُشاق يتبادلون بينهم الحب والثقة والرسائل والصور..

ذلك لايعني أن فتاتك سلعة .. ولايعني أيضا أن تُسقط رجولتك من نظرها .. وتشوه ملامحك بقلبها ..

إن لم تكن ترغب في الإستمرار بمشوار حبكما .. إتركها كرجل نبيل .. لا كسافل حقير ..

فعندما أحبتك لم تكن عمياء ..لكن لأنها أحبت رجلا هو بعينها وقلبها أمير كل رجال الكون.

لاتلوثوا الحب أرجوكم .. لاتشوهوا تلك التفاصيل بين أي حبيبين ..

لاتزعزعوا ثقتنا وإيماننا بالحب النقي الصادق ..

الإنترنت والعولمة لم توجد لنشر الفضائح وهتك الأعراض .. بل لنشر العلم والمعرفة والقيم والأخلاقيات ..

لاتملؤوها بسيئات ستظل باقية .. حتى لبعد موتكم وتعفنكم في الجحيم ..

إن لم تستطع أن تصبح إنسانا جيد في هذه الحياة فلا تضيف إليها شيئا سيئا ..

فالحياة ليست بذلك الطول الذي نتوقعه لها .. هي كالشمعة التى قد تنطفئ في أي وقت ..

إن لم تستطع أن تكون فيها مؤمنا فلا تجر غيرك الى الضلال والفجور ..

إن لم تستطع أن تكون فيها ناجحا فلا تدعو لغيرك بالفشل ..

كن فقط إنسان ولاتتخلى عن إنسانيتك لأي ظرف من الظروف ..

هناك أشخاص أجبرتهم الحياة على فعل أشياء لو ترك لهم الخيار لما فعلوها أبدا ..

هناك أشخاص يسيرون في طُرق من الصعب عليهم الحياد عنها ولا العودة الى نقطة البداية ..

الحياة أحيانا قاسية وصعبة تُجبر البعض على إنتهاك كل القيم الإنسانية ..

لكن هناك دوما بصيصا من الأمل , نور من الضمير على الجميع إتباعه ليموت على الحق بدلا عن العيش في الباطل والذل والموت عليه ..

دوما هناك فرصة للتراجع , فرصة لمحاسبة أنفسنا ومراجعة أخطائنا وإن فات الأوان .. لأن لا بشر بوسعه تحمل العيش في جهنم والدخول إليها بقدميه .

اليوم وبعيدا عن كل تلك الخلافات والكلمات الجارحة بعيدا عن فراقنا الذي طال كثيرا هذه المرة ..

بعيدا عن تلك العقبات التي نجحت مؤخرا في التفريق بين قلبينا ..

أنا أحتاج إليك ..

دوما كنت أحتاج الى وجودك قربي في كل يوم يمر من حياتي ..

لقد تعودت عليك لدرجة لايمكنني فيها الإقتناع برجل غيرك أنت , معك أشعر بأنني أتنفس , بأنني على قيد الحياة , أحب وجودك قربي وإحساسك بالمسئولية تجاهي ونصائحك لي ..

هل تعلم شيئا ..

عيناي تبحث عنك بين وجوه البشر علها تعثر عليك في صدفة عابرة كما كان يحدث منذ سنوات خلت ..

قلبي يهتف بإسمك في كل دقة من دقاته وينادي عليك بعلو الصوت والدموع تخنقني ياحبيبي ..تقف غصة على حلقي شوقا وإحتياجا إليك ..

لم أتعود السير وحدي في هذا الطريق وأنت تعلم ذلك جيدا .. لأنك من أمسك بيدي وقادني منذ البداية وأزال كل مخاوفي .. فلماذا تتركني يارفيق دربي الأن وتذهب نفتقدك كثيرا ..أنا وعيناي وقلبي وأنفاسي وعالمنا الصغير وتلك الأحلام التي حلمناها معا وذلك البيت الصغير الذي رسمت لي ملامحه في عينيك وجعلتني أعيش فيه أجمل اللحظات قبل أن أدخله ..

نفتقدك كثيرا ياحبيبي ..

أعلم بأنني أخطأت في حقك العديد من المرات .. كان بإمكانك صفعي .. ضربي .. معاتبتي ولومي لكن لم يكن من حقك يوما الذهاب بعيدا عني .. أتعلم لم؟ لأننا أنا وأنت غير كل العشاق , ثمة رابط بيننا لا أجده عند الأخرين وكأننا الحقيقة الماثلة لتلك (الروح الواحدة في الجسدين) على أرض الواقع لا على الصفحات البيضاء والقصص الخرافية ..

مازلت أشعر بيدك تحتضن يدي لايمكنك أن تذهب بعيدا لأن إحساسي بك يسكنني من رأسي حتى أخمص قدمي لقد تعلمت على يديك الحب والصفح والغفران لقد تعلمت الرؤية من خلال عينيك والإحساس بقلبك والتنفس من أنفاسك , لقد تعلمت معك الحياة والحب كنت دوما بالقرب مني لم تتركني يوما مهما أخطأت مهما جرحتك بكلماتي كنت دوما بالقرب مني في أحزاني قبل أفراحي تشاطرني وجعي وضحكتي تدلني على الصواب وتبعدني عن الخطأ وتلون العالم في عيناي بأروع الألوان لتراني سعيدة .

لقد فعلت الكثير من أجلي وضحيت كثيرا حتى أكون أنا كما عليه اليوم وليس شيئا آخر .

اليوم أنا وحدي أبحث عنك أنتظر قدومك على حافة الأقدار والازمنة أسأل عنك دقات قلبي علها تعرف عنك ما لا أعرف .. أتوسل بك أنفاسي لربما إستنشقت رائحتك في مكان ما وترفض إخباري .

لقد أخطأت حين قبلت الزواج به .. أنا أعترف , هل تسمعني ؟ ها أنا اليوم أعترف بجميع أخطائي فحاكمني كما شئت ونفذ علي العقوبة التي تُرضيك ..

فلقد أدركت إني كنت أستمد قوتي وشجاعتي وكبريائي منك أنت ومن حبك لي ووجودك بجانبي ..

أدركت بأنني عشتك أنت كل تلك السنون الماضية ونسيت من أنا , واليوم أراك تبتعد ..

تسلك طريقا آخر وتتركني ..

حقا لاأصدق ذلك ؟ حتى إنني لم أطلب منك البقاء وأخبرك بمدى ضعفي وإنهياري من دونك ..

تركتك تذهب مجروحا والدموع تملأ عينيك , وأنا أعلم إنك لن تعود أبدا ولن تنساني أو تسامح ضعف إنتقامي.

أحببتك بشده وأحببت كل تلك الصفات التي لم أجدها إلا فيك .

أحببت تلك العينان اللتان تعكسان نفسي وروحي فيهما وذلك الوجه الصارم الذي يضحك بكل عمق وبراءة عندما يكون معي .

أحببتك لدرجة الجنون ولم أتمنى غيرك أبدا ولن أتمنى.

قلبي يؤلمني , يثور علي ..يتمرد على كل تلك المبادئ والأخلاقيات التي خسرتك لأجلها .

أنفاسي تخنقني وكأنها قد ضاقت بصدري , يداي ترتجفان وعيناي تدمعان رغما عني .

لقد تمردت علي كل حواسي وقررت الإنتماء إليك فقط وحصريا رغم كل المحال.

أي حب ذاك جمعنا معا في قلب هذه الحياة القاسية والأفكار المشوهة والأزمنة المخادعة ؟

أي قدر ذاك جمعنا معا ووحد بين قلبينا ثم فرق بيننا ولم يترك لنا سوى العذاب والألم والدموع والندم .

كثيرا من الكلمات والآهات والأنين بقلبي لكن لا أستطيع قولها لك رغم علمي بأنك تحسها وتشعر بي بكل جوارحك , لكننا نعود خطوة الى الخلف في كل يوم يمضي

على فراقنا ,اليوم ذهبنا دون أن نلتفت للوراء ونبكي على حبنا الذي قتلناه معا دون رحمة وبكينا عليه بكل حرقة وألم .

اليوم تركنا أحلامنا ومنزلنا الجميل الذي لم نسكنه يوما أو نحدد له مكانا على أرض الواقع , وقد لانلتقي .

لكن ذلك الشئ الذي جمعنا سيبقى في الأعماق دائما , مهما مرت السنوات وشاب شعر الرأس وخارت قوى الأجساد , سيبقى ذنب حبنا معلقا برقابنا وسنحمل قهره وذكرياته ولحظاته وملامحه حتى ونحن أجسادا فارقتها الأرواح و واراها التراب .

يجب أن أعود

حزم(جواد) كل أمتعته لرحلة لاعودة منها .. ودع أهله وأقاربه ومر على منزل محبوبته المزين بأجمل أنواع الزينة إستعدادا لزواجها من صديقه.

سأل عنها طفلة تلهو مع صديقاتها فأخبرته أن العروس في (الكوفير) .

وهو يقود سيارته متوجها الى المطار كان قلبه يحذره بالعوده ,وصدى ذلك النذر يترددعلى أذنيه .

_ الله يشهد إني قد نذرت قلبي لك.

_ الله يشهد إني قد نذرت قلبي وروحي ودمي وسعادتي لأجل حبك .

إقترب من المطار وصوتا بداخله يهمس:

_ هذا نذر .. نذر .. لم نوفي به .. يجب أن أعود .. كيف لها أن تكرهني وهي أكثر شخص يحبني في هذا الكون ..خلف تلك الكراهية بعينيها يكمن حب عميق .. هذا نذر يا(ريم) ..علينا الوفاء به ..وإلا الله وحده يعلم أي عقاب سيحل بنا .

وأدار مقود سيارته عائدا وقد شعر بإنقباض مفاجئ في قلبه وعينيه تدمع قائلا:

_ لقد وعدتها ألا أذهب يوما وأتركها ..ستموت بعد رحيلي ..ستموت أعلم ذلك ..يارب ساعدها حتى أصل إليها يارب يا..

وإصطدمت سيارته بشاحنة بضائع كبيرة وهي تغوص تحتها بعد أن صارت الشاحنة بكل ثقلها فوق عربته التي إختفت تماما وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة بين حطامها.

ليلة الزفاف

في ليلة زواجها , إلتفف صديقاتها حولها , منهن من تضع لها أدوات الزينه , ومنهن من تُهذب ثوب زفافها لتُصبح جاهزة عند حضور العريس .

نظرت الى مرآتها تلك التي تفهمها كما يفهمها هو .. وتذكرت حديثه عبر الهاتف ليلة وصوله اليونان وقبل معرفتها بموضوع الصور تذكرت صوته الذي يغالب النعاس وهو يهمس , حدثيني عنك قليلا ..عن حبك لي أشتاق لمعرفة نفسي في قلبك , أشتاق لرؤية جمالي في عينيكِ , حدثيني عن تاريخ حبك لي عن أحلامك بي , ترجمي دقات قلبك لي حدثيني عني وعنك طويلا فصوتك يسحرني بنبرته الدافئة وعيناك تغمرني بكل حنان الكون , لاتتوقفي عن الحديث عن حبنا حتى نغفو في عالم من قصور الأحلام لاتذهبي بعيدا وتتركيني فأنا طفل يحتاج دوما إليك ..

جلست (ريم) قرب (حيدر) على منصة العرس ..

الصالة فخمة ومضاءة بأجمل الأنوار , والمدعوون يتحركون داخلها على تلك الورود المتناثره على الأرض وبين الطاولات والمقاعد .. منهم من يجلس حول الطاولات يتحدث .. ومنهم من يستمع الى صوت الموسيقى المنبعثة من الفرقة الموسيقية وفنانها , وآخرون يلتقطون الصور للعرسان وهم يتقدمون لهم بالتهاني والتبريكات .

في منتصف الحفل حدث إرتباك لم يفهمه (حيدر) ولا(ريم) , تسارعت الخطى نحو باب الصالة تتقدم تلك الجموع (سوسن) والدموع تبلل خديها وفي إثرها والد (ريم) و(وليد) و(عامر) ومهندسون آخرون .

وتحول العرس الى مأتم يضج بالنواح والعويل .

توجهت والدة (ريم) نحوهما وهي تمسك بيد إبنتها قائلة بحزن:

_ تعرض (جواد) لحادث وهو في طريقه الى المطار وإنتقل الى رحمة الله منذ قليل .

إتسعت أعينهما على آخرها دهشة و(ريم) تضغظ على يد أمها ودموعها تنساب بغزارة :

_ لا ..لا ..لا .

أفلتت يد أمها وهي تجري نحو الباب مرددة بصدمة:

_ لا لا لا ..

هرولت من الصالة الى الشارع العام لتلحق بتلك السيارات التي ذهبت لرؤيته في المستشفى وهي تناديه وتنظر الى السماء متوسلة .

وفي ذلك الطريق السريع طار جسدها في الهواء قبل أن يرتطم بعربة وتدهسه غيرها وتخضب زفافها الأبيض بدمائها وروحها تصعد الى السماء لتلتقي بروحه في وداع حزين وتلك الغيمة السوداء تحجب نور القمر ليحل الظلام على المنازل والقلوب .

لا أمان في الحب ولا ضمانات ..

فقط .. صدف .. وأقدار .. وحظوظ ..

قد تقودك لطريق آخره قصر مليئ بالأحلام ..

أو مقبرة تدفن فيها كل ما بالقلب من أحلام ..

وتمضي الحياة .. لأنها لاتقف على أعتاب أحد .

النهاية